

DATE DUE

J. Lib.

1 OCT 1936

~~J. Lib.~~

~~106 JUL 1937~~

JAFET LIB.

12 JUN 1978

J. Lib.

17 JUN 1981

370.9

H9614A

عبد الله حسين

التعليم العربي والجامعي

Arabic & University Learning

BY

Abdalla Hussein

يشتمل على كتابين معا

١ - الكتاب الأول : عن نشأة التعليم في البلاد العربية
والاسلامية ، ونشأة النظام الجامعي العربي والأوروبي ،
وتطورهما

و ٢ الكتاب الثاني : عن الجامع الأزهر

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف

مطبعة التوفيق شركة حوش الشرفاوى مصر

مكتبة العرب
لصاحبها

البيع يوسف عوما البستان
شارع القجالة

Cat. 7 Dec. 53

تقديم

بقلم حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ
محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الأزهر السابق



فقيد الأزهر والإسلام المرحوم الشيخ محمد مصطفى المراغي

إلى الأستاذ عبد الله :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد: فأقول إنني قد اطّعت على الكثير مما عقدت في «سلسلة الدراسات العربية والإسلامية» فأعجبتني ما قرأت ، وحمدت لك هذا النهج القويم الذي ولجت في بحث تراث العرب وتذكير الحاضرين بمناقب السابقين ؛ وإحياء الفكرة الإسلامية في النفوس ، بعد أن ران عليها صدأ النفثة والنسيان . ولابد عنى الإسلام بالاخوة الإنسانية ، ونبه القرآن الكريم إلى موجبات التعاون والتعارف والتناصر والمباعدة عن المناكر والاختلاف والتخاذل ، ووضع للتفاضل بين الناس معياراً لم يعرفوه من قبل ؛ وهو تغوى الله . وفي القرآن الكريم « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا . إن أكرمكم عند الله أتقاكم .

وليس من شك في أن اطلاعكم أبناء العروبة
والمسلمين جميعا ومحبى العرب والاسلام بل محبى الحق
على أمثال هذه الدراسات ، جدير بأن يقابل بالثناء
والتقدير ، وبخاصة حين يكون ثمرة بحث الكتاب
القادرين والمؤرخين المحققين والدراسين الباحثين .

ولقد قرأت لك منذ بضع سنوات « كتاب السودان
من التاريخ القديم ، إلى رحلة البعثة المصرية » فقدرت
المجهود الذى بذلته ، والغاية التى رجوتها .

ثم رأيتك فى هذين العامين ، تمضى فى تسجيل ثمار
مطالعائك ورحلاتك فى خلال ربع القرن الماضى ؛ لكى
تساهم فى التأليف مع من هاهموا قبالك ومعك . بعد
ما أسلفت من خير وبذلت من جهد فى خدمة الدين
والوطن .

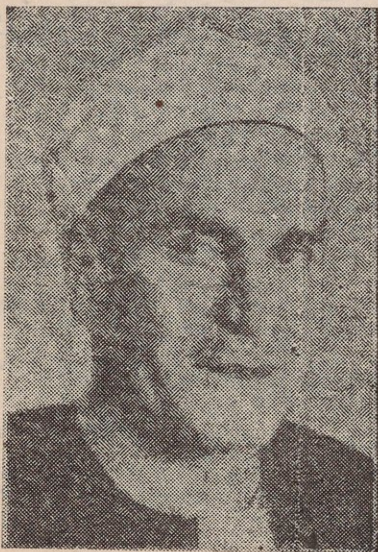
فعلى بركة الله وفى رعايته سبحانه ، إلمض فى هذه
البحرث والدراسات ، مفسحاً الصدور للتعقيد القويم ،
مشكوراً ما أجوراً ، فإن أخطأت فلك أجر واحد ، وإن
أصبحت فلك أجران . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
الإسكندرية يوم الخميس أول رمضان ١٣٦٤

« ٩ أغسطس ١٩٤٥ »

محمد مصطفى المراغى

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر
الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر
الجديد الذي عين في ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٤٥ شيخا للازهر



فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

« تفضل حضرة صاحب الجلالة الملك الفاروق فقلدني
مشيخة الجامع الأزهر الشريف وحماني بذلك أمانة عظمى ،
أسأل الله أن يعينني على الوفاء بحقها ، والجامع الأزهر الشريف
هو قبل كل شيء بيت الله فهو خالص لله وحده » وأن المساجد
لله فلا تدعوا مع الله أحدا » . ثم هو من أعظم مفاخر مصر
في تاريخها كله ، فلكل مصرى نصيب من مجده وعلى كل مصرى
حق الاهتمام بشأنه والعمل على صلاحه ونهضته .

والأزهر الشريف معهد الدراسة الإسلامية الأكبر فهو
قبة المسلمين في ثقافتهم الدينية وما يتصل بحياتهم الروحية .
فلذلك مسلم قبس من ضيائه وحظ من ظل لوائه

ثم إن الأزهر حصن العربية ، صانها من عوادي الدهر
يوم كاد الجهل يقصها من أطرافها . ومنه أشرقت نهضتها
المرجوة . فللأزهر فضل على العروبة . عرفت العروبة جميله
بما في طبيعتها من سجية الوفاء . فالى الله جل جلاله أتوجه

مخلصا له ديني في خدمة بيت الله ، والى كل مسلم وكل مصري
وكل عربي يهدي تحية طيبة الى من ينهض اليوم بأمر معهدهم
الجليل معتمدا أن يسير به قدما في سبيل الرقي ، الاصلاح ،
شأرا بأنه بذلك يؤدي واجب الله ويخدم دينه ووطنه
وقومه ، وأسأل الله أولا وآخرا أن يلهمني الرشد ، وأن يعينني
على تحقيق الأغراض السامية التي أولاني صاحب الجلالة
ثقة الغاية في سبيل تكميلها خدمة للاسلام وخدمة للعروبة
ولمصر الوطن العزيز .

ويا أبناء الأزهر الشريف حيا الله وجوهكم فقد كرمتم
مقدمي تكميما بالغ الأثر في نفسي وأشهد ما لأحد من أبناء
الأزهر عندي الا الود صادقا ، وحب الخير خالصا .
وسأدفعكم بكلتا يدي في سبيل الله ، سبيل الكمال الديني
والدنيوي حتى تعودوا باذن الله أئمة الخير والحكمة في هذا
العالم المحتاج الى الحكمة والخير ، وحتى يعود الأزهر في العالم
منارة علم ودين وخلق وحب وسلام وحرية .

وما يكون لي إذ أتولى مشيخة الازهر الشريف بعد المغفور
عليه الأستاذ الا كبر الشيخ محمد مصطفى المراغي الا أن أطلب
اليكم جميعا ان تقرأوا معي فاتحة الكتاب لنهدي ثوابها الى
روحه وأرواح شيوخنا السابقين رحمهم الله أجمعين . وعلى
الله قصد السبيل وهو حسبنا ونعم الوكيل .

٢٣ محرم سنة ١٣٦٥ ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٤٥

مصطفى عبدالرازق

كلمة المؤلف

منذ أن نهضنا في عام ١٩٤٥ ، باخراج « سلسلة الدراسات العربية والاسلامية » مضيئنا في طبع المؤلفات العديدة التي تنتظم هذه السلسلة عقدها . وكان من بواعث الاغتراب ، أن رأينا قراء مؤلفاتنا في مصر والشرق العربي والأجانب الذين يعرفون العربية أو قرأوا ما نقل من فصول مؤلفاتنا الى اللغات الأوروبية - يقدرّون هذا الجهد ، ويستحثّوننا أن نتابعه . وأن نستزيد منه ، خاصة في هذا العهد ، الذي تنبض فيه العروبة بالحياة الحرة والعلمية

وهذا كتابنا الجديد من هذه السلسلة « التعليم العربي والجامعي » نقدمه في كتابين مجتمعين . أولهما : عن نشأة التعليم في البلاد العربية والاسلامية ، ونشأة النظام الجامعي ونظام المدارس الاسلامية والأوروبية في البلاد العربية

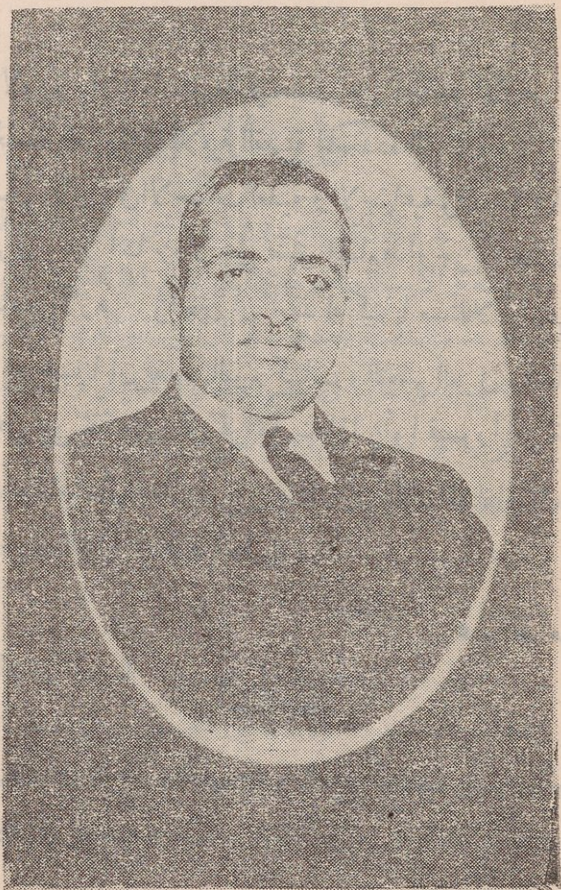
والأوروبية . أما ثانيهما فيتحدث عن الجامع الأزهر ، تلك
الجامعة العربية الإسلامية القديمة المتجددة التي كان ولا يزال لها
الشأن الأول في الأحداث العلمية والاجتماعية والدينية في الشرق
العربي . غير أننا نزولاً على ضيق المقام قد أوجزنا الحديث عن
الجامع الأزهر ، راجين أن نعقد له كتاباً مستقلاً أوسع مدى
وحسبنا أن نقدم اليوم كتاب « التعليم العربي والجامعي »
ونحن على ثقة من رفق قرائنا بنا إذا رأوا قصوراً أو تقصيراً
والله تعالى أسأل أن يوفقنا إلى إتمام المؤلفات العديدة
الأخرى التالية في هذه السلسلة

عبد الله مسين

أخطاء مطبعية

وقعت أخطاء مطبعية ، يستطيع القارئ أن يدرکها بلا
حاجة إلى تصحيف

ترجمة حياة المؤلف عبد الله حسين ومؤلفاته



ولد المؤلف في القاهرة ونشأ في دار المؤيد رقم ١٥٨
شارع محمد علي وهو خريج مدرسة فيكتوريا ومدرسة
الجمعية الخيرية الإسلامية والشيخ صالح أبي حديد
والإعدادية ، وكان أول طلبة البكالوريا وأول المدرسة
كلها ، وكان أحد شبان ثلاثة قابلوا سعد زغلول وأصحابه
في خلال الحرب العظمى قبيل عقد الهدنة وقبل أن تخطر بالبال
فكرة تأليف الوفد المصري . وقد توثقت صلات المؤلف
بالزعيم سعد وتبودلت بينهما رسائل وأحاديث هي موضوع
كتاب خاص . ولقد أتيح للمؤلف مقابلة أعظم الرجال في أوروبا
كالبا با و لبران ولويد جورج ومكدونالدو تشمبرلين وديجول
وايدن وموسولينى وبريان وبلوم ، كما درس العمل في
صحف أوروبا التي نشرت رسائله وأحاديثه وقد عاصر في
صباه الحركة الوطنية والفكرية الأولى التي كان من
أعلامها محمد عبده وعلى يوسف وقاسم أمين ومصطفى كامل
ومحمد فريد وعبد العزيز جاویش ، وعاصر في شبابه الحركة
الوطنية الثانية بزعامة سعد زغلول والمؤلف - إلى هذا -

خرج مدرسة الحقوق الملكية (كلية الحقوق في جامعة
فؤاد الاول) وقسم الدكتوراه بمدرسة الحقوق الفرنسية
«شعبة العلوم السياسية والاقتصادية» وقسم العلوم الجنائية
بالجامعة المصرية القديمة وحاصل على دبلوم معهد الدراسة
الاطالية ودبلوم المعهد الالمانى وله رسائل واحاديث
في جرائد التيمس والماسنشيستر جارديان والديلى ميل
والاجبشيان ميل والجازيت دى لوزان والبو بولودى روما
والجورنالى دى طاليا ولومانيته و... وعضو اللجنة
الاستشارية العليا للتعاون التى وضعت قانون التعاون فى سنة
١٩٢٧ وأحد مؤسسى جمعية نهضة القرى ومؤسس جمعية الشبيبة
المصرية وجمعية الدراسات السودانية وجمعية الدراسات
افريقية ولجنة الدراسات العربية والاسلامية واتحاد ضاحية
الاهرام وعضو البعثة المصرية للسودان وعضو لجنة جوبا
وعضو الاتحاد العربى والاستاذ بقسم الصحافة بالجامعة
الامريكية الى سنة ١٩٤٢ . وقد أنشأ مجلة انفييد وهو فى
الدراسة الابتدائية والجريدة القضائية فى سنة ١٩٣٠ ، ومجلة
الادارة والبوليس القضائى فى سنة ١٩٣١ ومحرر بالاهرام
وله باب التأليف كتب نفذ أكثرها سيعاد طبعها منقحة

ومن هذه :- المرأة الحديثة وكيف نسوسها . التعاون الزراعى
 فى مصر . السودان من التاريخ القديم إلى الثورة المهدية
 والسودان منذ استعادته إلى تنظيم إدارته والسودان إلى رحلة
 البعثة المصرية فى ١٩٣٥ والمسألة الحبشية وشرح مبادئ
 القانون التجارى ومجموعات الجريدة القضائية ومجموعات البوليس
 القضائى تاريخ ما قبل التاريخ والملك عبد العزيز آل سعود
 والمملكة العربية السعودية وفتح مكة الدراسات العربية
 والإسلامية والحديث عباس حالى والازهر الجديد واحمد ماهر
 والجيل الوطنى الجديد والتعليم العربى والجامعى ، وميلاد
 الحضارة والمسألة اليهودية ، والمسألة الهندية وهذا حدثلى ،
 أمس الحياة الدولية وحظ مصر الفرعونية القديمة والحديثة
 والعرب منها ، أشهر الحضارات القديمة وعين هذه المؤلفات
 الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
تمهيد بقلم المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى	٥ - ٢
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى	
عبد الرازق	٩ - ٦
كلمة المؤلف وترجمته	١٥ - ١٠
الفهرس	١٦ - ١٥
التعليم الجامعى	٢٣ - ١٧

- الحياة الاجتماعية والاتحادات الجامعية
 ٢٢ - ٢٨
 الجامعة مكان للبحث العلمي
 ٢٩ - ٣٢
 جامعات بريطانيا
 ٣٣ - ٥٤
 التعليم عند العرب وفي الاسلام
 ٥٥ - ٧٧
 مهمة التعليم الجامعي . في امانيا . بالتعليم وعلم الناس
 ٧٨ - ١٠٨
 التعليم في بريطانيا
 منشأ المدرسة الاسلامية . أثر البيئة الاسلامية
 ١٠٩ - ١٢٤
 الاتفاق على التعليم . اهداف التعليم العربي والبريطاني
 المحملون ؛ الحرية في التعليم
 ١٢٥ - ١٢٩
 التدوين وأثره في نهضة المدرسة الإسلامية
 ١٣٠ - ١٣١
 الكتب في عصر الخلفاء
 ١٣١ - ١٣٧
 من الحافضة إلى التقييد
 ١٣٧ - ١٤٥
 تدوين الحديث والقرآن
 ١٤٥ - ١٦٠
 مدارس الدولة العباسية
 ١٦١ - ١٧٠
 مراحل التعليم العربي الإسلامي ومناهجه التعليم في
 ١٧١ - ١٨١
 عهد الم. تنصر بالله . في المدارس الأندلسية
 التعليم الجامعي الفنى والشعبى
 ١٨٤ - ٢٠٠
 الجامعة والمدارس العامة
 التعليم الشعبى والجامعات الشعبية
 ٢٠١ - ٢٠٩
 أغراض الجامعة الشعبية خطة الدراسة أوقات الدراسة
 الكتاب الثانى - الجامع الأزهر
 ٢١١

التعليم الجامعي

« الجامعة » هي الترجمة العربية للكلمة الأوربية المشتقة من اللفظ اللاتيني Universitas — ومعناه الأصلي أى غير الاصطلاحى : الجماعة أو جماعة ما أو هيئة من الهيئات -- ومن أجل هذا كان يضاف الى هذا اللفظ كلمة أخرى لكي يكون معناه الجماعة أو الهيئة الدراسية أو التعليمية فيقال : Universitas magistrorum et scholariam

أما اطلاق هذا اللفظ وحده دون أى نعت آخر له — فقد بدأ منذ آخر القرن الرابع عشر الميلادى ، غير أن معناه كان مقصوراً على الدلالة على الجماعة من الأساتذة والطلاب تعترف بها السلطة المدنية أو السلطة الدينية . أما مكان التعليم نفسه فكان يطلق عليه الاسم اللاتينى Studium generale ومعناها : « مركز تعليم للمكافة ، ويبدو ان انقضاء هذه الهيئات التعليمية كان سائراً فى أوروبا مع إنشاء نقابات الحرف وكانت مراكز التعليم نقابة من النقابات منذ القرن الثالث عشر ، وكانت فى الأغلب ، نقابة أجنبية ، يحتاج

أعضاؤها الى حماية هيتهم ومصالحهم ، لأنهم كانوا من الأجانب
 وغريباء ، وكانوا في حاجة الى أن تعترف بأهليتهم للتعليم والتعلم
 السلطة المدنية أى الملك أو الامبراطور أو الحاكم أو سلطة دينية هى الكنيسة
 حين يكون لها مدرسة وحين ترخص بأن تكون هناك دراسة الى
 جوار الكنيسة ، وترخص لهم بالتدريس ومنح الدرجات العلمية

أما الكلية فكانت تطلق على الدار التى يقيم فيها الطلبة . وهناك
 تفاصيل عديدة توضح مراحل تطور الحياة الجامعية من بيئة صغيرة
 ودار صغيرة وبحث محدود فى المنطق واللاهوت وخلف بين الأساتذة
 وبينهم وبين الطلاب ، واضطهادات من الكنيسة والحكومات
 الملافاكار الحرة والمؤكرين ، الى دور كبيرة ومكتبات ومدرجات
 ومعامل وحدائق ورحلات واكتشافات واختراعات وسياسات
 وحياة هى أحياناً الصورة الصغرى لحياة أمة متعلمة راقية

قلنا إن معنى الجامعة كان فى أول الأمر اتحاداً أو جمعية منظمة لها
 سلطات معينة . وما زال هذا المعنى عالقاً بأذهاننا حين نقول أن
 السمة التى تميز الجامعة هى قدرتها على منح الدرجات العلمية . ففى
 الجملتها تستطيع أن تقول أن برمنجهام ومانشستر واندن بها جامعات ،
 أما نينجهام وهل فيها كليات جامعة ، وذلك لأن هاتين الأخيرتين

لا تستطيعان أن تمنحنا درجات عليية ، وإنما يحصل عايتها الطلبة من جامعة لندن . هذه مسألة قانونية ولكنها تنطوى على مسألة هامة . الجامعة جماعة من المعلمين والعلماء اعترف لهم بسلطة مستقلة لهم أن يضعوا برامج التعليم ، والمستوى المطلوب -- وهو أهم من البرنامج . هم الذين يضعون الامتحانات ويصدرون نتائجها وهم الذين يحددون ما يطلب من الطلبة الذين يرونهم -- بعد نجاحهم -- ملائمين لتعليم موادهم كأستاذة أو دكاترة

هذه إذا هي سمة الجامعة : كرامتها وسلطانها . لها في ميدانها سيادة لا تنازع . ولكن من أين تستمد الجامعة هذه السلطة ؟ وأي مستوى يجب أن يبلغه المعلمون والعلماء كي يظفروا بهذه السلطة ؟ الجواب على ذلك أنه ينبغي لهم أن يكونوا من المعلمين والعلماء الذين يوسعون آفاق المعرفة . لا يكفي أن يكونوا معلمين تتحدر الى الطلبة عن طريقهم المعارف يستمدونها من غيرهم ، ومن مؤلفات وبحوث الآخرين . يجب أن تتسع المعارف على أيديهم هم أنفسهم ، وأن يكشفوا عن أشياء لم تكن معروفة من قبل وأن يلقوا ضوءاً جديداً على مجاهل ظلت مظلمة أحقاباً طويلة . يجب أن يكون لكل أستاذ بالجامعة علم أو فرع من فروع العلم يستطيع -- وهو واثق -- أن يقول فيه

« لا يهمني ما جاء عنه في الكتب ، ولا يهمني ما يقول فيه الشقاة ،
فقد تبين لي — ولا أقول فاني أظن — أنهم مخطئون في هذا الباب »
ويستطيع أن يقول لطلبعه — وهو على يقين — « هذه العبارة في
ذلك الكتاب سليمة ولا غبار عليها — فقد خبرتها بنفسى »

وعند الأستاذ محمود محمود أن الجامعة تتألف من جماعة من
المعلمين والعلماء ذوى نفوذ علمي ، لأنهم هم أنفسهم يضيفون الجديد
الى كنوز المعرفة . ويتبع ذلك أن يكون المعلمون الجامعيون أحرارا
في تحديد ما يراد معرفته ، وفي تعليم ما يعتقدون أنه الحق وما يبدو
لهم أنه الحق . وليس لأية سلطة أخرى ، مهما يكن نفوذها في الميادين
الأخرى ، أن تدبر لهم ما يعملون ، وأن تحدد لهم ما يبدون وما
يخفون . فهي لهذا جديرة بأن تصبح عضوا في مجموعة الجامعات
العالمية الكبرى . فهذه المجموعة على اختلاف الأمم والأجناس
واللغات — تؤلف جماعة واحدة يتبادل أعضاؤها نتائج بحوثهم
ومكتشفاتهم وكلهم مشغول بالبحث وبزيادة معارف الإنسان

وعلى الجامعة في الوقت عينه واجب آخر نحو الأمة التي تنشأ
فيها ، وذلك أن تكشف عن المعارف المختلفة التي تحتاج اليها هذه
الأمة دون غيرها من الأمم . ومن الخطأ أن يظن أن الجامعات جميعاً

عليها أن تعلم أو تبحث في جملة الموضوعات نفسها . صحيح إن هناك من الموضوعات والدراسات ما يصح جعله أساساً للعلم الحديث ، ولازماً لفهم الحياة وأغراضها . وهذه الموضوعات وهذه الدراسات يجب أن تكون جزءاً من برنامج أية جامعة من الجامعات . ولكن هذا أشبه ما يكون بالهيكل الذي يجب أن يمتلىء فراغه بالمعارف والبحوث التي تهتم أمة معينة دون غيرها من الأمم . ولذا فالجامعات تكون من مجموعها جماعة دولية أولاً . غير أن كلا منها على حدة يخدم المجتمع الذي ينشأ فيه ويعنى بحاجاته الخاصة عن طريق البحث المبتكر .

وإلى أن الجامعة ليست مجرد جماعة من العلماء الباحثين فإنها هي كذلك جماعة من المعلمين ، فالعلم ليس كنوزاً تدخر . إنما هي كنوز تنشر . ولا تنشر إلا بالتعليم . ومن واجب المعلم أن يعلم طلبة شيناً أكثر مما يتصل بمهنته . على الجامعة أن تؤهل الطلبة تأهيلاً فنياً ، وعليها بعد ذلك أن تمدهم بفلسفة أو نظرة خاصة إلى الحياة ، وأن تدرجهم على فن الاجتماع . أما الغرض الأول فقد تحدثنا عنه من قبل وقلنا إن الطلبة يتلقون العلم على علماء باحثين . أما الغرض الثاني — فلسفة الحياة — فيحصلون عليه عن طريقين ، الأول أن يتعلموا إلى جانب علومهم المهنية أو قبلها موضوعات عامة

كالآدب أو التاريخ أو الفلسفة ، والثاني بمساهمتهم غيرهم ممن يدرسون مواد غير موادهم . حتى يكون بالجامعة تبادل في الآراء بين الطلاب يوسع آفاقهم الفكرية في الفروع المختلفة ، بين عالم الطبيعة مثلاً والفيلسوف أو طالب الآدب ، بين الاختصاصي وطالب الفلسفة أو الآديب ، وبين طالب العلوم النظرية والعلوم التطبيقية وغير ذلك

أما الغرض الثالث فيظفر به الطلبة بسكناهم مما في منازل خاصة باقامتهم (الداخلية) ، وبمساهمتهم في جمعيات الطلبة ، وهي من أهم المميزات للجامعة الحديثة : كجمعية المناظرات وجمعية التمثيل والجمعيات السياسية والدينية والفنية والعلمية والتاريخية أو بمساهمتهم في اتحاد الطلبة الذي يمكن الطلبة من حكم أنفسهم بأنفسهم ، وهو الاتحاد الذي يمثل أمام إدارة الجامعة وجهة نظر الطلبة . وإذا كان من واجب المعلم الجامعي أن يعلو حتى يكون من الباحثين ، فكذلك الطالب الجامعي ينبغي أن تبلغ سنه حداً يمكنه من أن يحكم نفسه بنفسه

وللجامعة مهمة أخرى إزاء المجتمع الذي تقوم فيه . ويعاونها على أداء هذه المهمة أن تبعث بخريجيجها المشبعين بروحها الى المدارس الثانوية والابتدائية المجاورة ، يعلمون فيها ويبتشون أحدث النظم

والآراء . ويجب كذلك أن ينفقد الشعب أن الجامعة رجالا لا ينتمون الى حزب معين ، ولا ينزلون الى معمعان السياسة . رجالا لهم في الحياة نظرات واسعة موضوعية إنسانية . وتستطيع الجامعة أن تكون مصدر نور وعرفان لا الى طلبتها فحسب ، بل كذلك الى أبناء المنطقة المجاورة .

على أساتذة الجامعة — فوق ذلك — أن يؤلفوا الكتب الخالدة التي تهيئ على وجه الزمان ، وتؤثر في مجرى التاريخ ، وألا يكون رائدهم في ذلك كسب المال ، أو التظاهر بالثقافة ، أو النفوذ الاجتماعي ، وإنما متعلية الحق وإظهاره

الحياة الاجتماعية والاتحادات الجامعية

فاول ما يشعر الطالب أنه عضو في أسرة الجامعة أن يرتدى زياها الخاص ثم يقوى عنده هذا الشعور بعد ذلك إقامته في الجامعة ، يأكل وينام ويعمل ويلعب مع زملائه . ثم تلك الدعوات التي يوجهها اليه الأساتذة لتناول الشاي أو للاحتفال بمناسبة ما ، في دورهم الخاصة ، وتلك الاجتماعات المسائية مع إخوانه ، التي يحتك فيها عقله بعقول الآخرين فيزداد حدة وضياء . ويجب أن تكون لكل طالب

جامعى حجراته الخاصة يستدكر فيها دروسه ويدعو فيها اخوانه لتناول الشاي أو السمر . كما يجب أن تخصص حجرات خاصة للصحف والمجلات ، والموسيقى ، والمكتبة ، والألعاب ، وأن تلاحق بها أمانة للعبادة ، وأن تحاط بالحدائق ، وتمد بعدد كاف من ميادين الألعاب . ومن واجب الأساتذة أن يشتركوا مع الطلبة في المساء في وجبة العشاء ، وأن يجلسوا معهم فترة بعد العشاء يتسامرون ، يجب أن تحيي الجامعة فن الحديث الذى طغت عليه الآلة فأضعفته بما يثب في الناس من روح العجالة

ولما كانت الجامعة ترمى الى تكوين الشخصية من جميع نواحيها وجب أن يكون بها عدد من المربين يكفى للإشراف على الطلبة . وقد يكون هؤلاء المربون من المختصين في المواد أو غير المختصين . لأن العلاقة الشخصية بين المربي والمربي من أهم مكونات الشخصية

أما اتحاد الطلبة فأن في جامعة ردينج بانجلترا مثلاً ، ينتمى طلبة الجامعة جميعاً الى اتحاد الطلبة ، ولكنهم لا يعقدون اجتماعاً أكثر من مرتين أو ثلاث في العام ، وذلك حين تعرض للطلبة مشكلة عويصة . وينتخب ثلاثين طالباً ليكونوا أعضاء مجلس الطلبة التمثيلي . . ويمثل هذا آراء الطلبة تمثيلاً حقاً ويجتمع أعضاء هذه

المجلس باطراد مرة كل ثلاثة أسابيع ، ويناقش كل مشكلة تجدد ويراقب أعمال الجمعيات الفرعية المختلفة ، وكما أن برلمان الأمة لا بد له من وزراء ومصالح مخصصة يعالجون شؤون الحياة العامة ، كذلك مجلس الطلبة — على نطاق ضيق بطبيعة الحال — له ثلاث جمعيات دائمة تختص كل منها بناحية معينة من حياة الطلبة : مثل المساكين ، والألعاب ، والملاهي ، والصحف والمجلات ، والخدمة الاجتماعية ، والجمعيات العلمية . وما إليها

والانحياز يشمل طلبة الجامعة جميعاً ، وعلى رأسهم ضباط الاتحاد عليهم رئيس يعاونه وكيل ، وله أمين للصندوق ، وسكرتير أو اثنان وكلهم من كبار الطلبة . وهم يصدرون قراراتهم المالية والتنفيذية كلها بقتضت الضرورة ذلك ، ويمثلون طلبة الجامعة جميعاً ، أمام الجامعة في مسألة التأديب والنظام ، وأمام الحكومة المحلية في كل ما يختص بحركات الشباب السياسية والدولية بمثابة حكومة الطلبة للطلبة من أجل الطلبة . ويجدد الطلبة في عضوية الجمعيات الجامعية مجالا للتدريب على التنظيم والابتكار واحترام اولى الامر والنفوذ

الجامعة والأمة

تختلف الجامعة الانكليزية التي هي قليلة الصلة بالجمهور ، عن الجامعة الأمريكية . حتى إن رؤساءها يعدون من الشخصيات القومية البارزة . وإذا تحدث الأمريكي في بوستن مثلاً عن « الرئيس » فهو يقصد رئيس جامعة هارفارد ولا يقصد رئيس الجمهورية . ولعل أكثر الجامعات الانجليزية صلة بالجمهور اكسفورد وكامبردج . وأهم ما يشغل الجمهور منهما سباق الزوارق الذي يجرى بينهما كل عام على متن التيمز . الأساتذة الانجليز يحسبون الاتصال بالجمهور ضرباً من ضروب الاعلان عن النفس ، وهم لا يحبون ذلك . ثم إن عملهم - فوق ذلك - ليس مما يثير اهتمام الجمهور . واجبهم أن يعلنوا الطلبة وأن يبحثوا . ولا يتطلب منهم ذلك العجلة أو الصلة بالجمهور . فهم يعملون في حجرات الدرس ، والمكتبات والمعامل ، والمستشفيات وحقول التجارب . وثمة ما يحمل على التباعد بين الجامعة والجمهور في إنجلترا أن الجامعة لا تخضع للحكومة ، رغم أنها تتقاضى منها منحة سنوية . ولذا فالجامعة الانجليزية بعيدة عن أعين الجمهور . وليس معنى ذلك أنها عديمة الصلة به . بل إن مجالس الإدارة بها تضم الى جانب المعلمين

رجالاً ونساء ممن لهم خبرة بالنواحي المختلفة من نواحي الشعب .
ثم إن المعلمين والطلبة أنفسهم من طبقات مختلفة من الأمة ، ويستعد
الطلبة لخدمات متنوعة ولهم مختلفة . وكل مهنة في إنجلترا لها نقابة أو
جمعية على نسبة بالجامعات تقدم لها الاقتراحات ، وكثير من الجامعات
يدعو أعضائها هذه النقابات لحضور مؤتمراتهم كي تفيد من آرائهم
ونقدمهم . كما أن النقابات تستفيد من هذه المؤتمرات لأنها تدرس
المشكلات في ضوء التجارب التعليمية والعلمية .

وتتصل الجامعة الانجليزية — من ناحية أخرى — بالجمهور
عن طريق تعليم الكبار ، ممن يعملون نهارهم في كسب قوتهم ،
ويطلبون مساءهم بالجامعة يستمعون إلى أساتذتهم — يحاضرونهم ،
ويناقشونهم في نواحي العلم المختلفة . وهذه الفئة من الناس لا تفكر
في التحضير إلى شهادة معينة وإنما جل رغبتهم أن تنهض بمستواها
العقلي والعلمي .

والجامعة مدينة لكل من أعانها بالمال ، وعليها أن تحتفظ باسمه
وأن تتابع الدراسة التي من أجلها تبرع المتبرع بملكه . وعلى الجامعة
بعد ذلك دين للسلطة المحلية — أي للمدينة أو المقاطعة التي تقوم فيها
فيكون لأبنائها الأسبقية في القبول .

واجب أن تكون الجامعة يقضى لجميع المشكلات القومية ، ترى
 فيها رأيا ، ويتطلع اليها الجمهور عندما يتفرق الرأى ويحزب الأمر (١) ،
 وعلى الجامعة ان تعد دراسة قصيرة فى موضوعات مختلفة لخريجيها
 وللمعلمى المدارس التى تستمد منها طلبتها ولأعمال الذين على صلة بها .
 ان هذه الدراسات تجدد القوى العقلية ونواحي التفكير . وتستطيع
 الجامعة كذلك ان تصرح للجمهور أن يرتاد مكتبتها للقراءة واستعارة
 الكتب . وأرى أن تكون للجامعة صحيفة أو مجلة يقرأها الجمهور ،
 وان يصدر استاذها كتباً شعبية بثمن معتدل يمكن ان يتناولها
 الجمهور ويفيد منها . ان الجامعة بذلك تقاوم الأدب الرخيص الذى
 اخذت سوقه تنفق فى هذه الأيام ، ويستطيع الأساتذة كذلك ان
 يذيعوا احاديثهم فى الراديو ، وان يزورا المدارس المجاورة ،
 لا كمتحنيين ولكن كأصدقاء . ولست ادري لماذا يتوارى الاستاذ عن
 اعين الجمهور فى حين ان رجل الدين والمحامى ورجل السياسة يملأون
 العيون . ان استاذ المستقبل سيبرز الى الشعب كما برز من قبله هؤلاء .

(١) فى مصر جامعتا فاروق وفؤاد والجامعة الأزهرية الآن
 والمدارس العليا والجامع الأزهر قديما — تشارك الأمانة وأحيانا تسبقها فى
 الشعور الوطنى وطلب الاستقلال . والجلاء ووحدة وادى النيل

الجامعة مكانه والبحث العلمى

ان الجامعة الناجحة تخطو بحياة الأمة ورفاهيتها خطوات الى الامام ، ففيها يتخرج المواطنون الأكفاء وبمجهودها يرتفع مستوى المدنية ، وعلى أساتذتها يتخرج العلماء ورجال المهن الفنية . ولكن الجامعة لا تزدهر الا اذا أصبحت موطناً للبحث العميق ولست بحاجة الى الاشادة بفائدة البحث المباشر فى المكتشفات الطبية والزراعية التى تعود على الأمة كلها بالنفع العميم غير ان من البحوث العلمية والأدبية مالا يؤدى مباشرة الى فائدة محسوسة . ولكنها كثيراً ما تؤدى عرضاً الى مكتشفات عظيمة تفيد منها الإنسانية بأسرها . ومن هذه البحوث ما قام به (فرادى) فى المغناطيسية والكهربية وما قام به (مندل) فى مشكلة الوراثة . وكذلك الآراء الجديدة فى الفلسفة والرياضيات والتاريخ ، والدراسات القديمة كثيراً ما تنتهى بفائدة كبرى لأنها تغير طرق تفكيرنا ونظرتنا الى المسائل الحيوية الهامة . ومن واجب الجامعة ان تدرس المشكلات القومية الخاصة ، من مناخ ومعادن وتاريخ وادب وزراعة وغير ذلك ، والا تتركها للاجانب يدرسونها . ولا ينبغي ان تقف الجامعة عند حد

المشكلات الجامعية وعند حد المشكلات المحلية ، بل على الأساتذة ان يدرسوا المشاكل الانسانية الهامة . ولا يهم كثيرا ان ينجح الأساتذة في نتائج بحوثهم لأن النجساح الحق يقتضى عبقرية كعبقرية دارون او نيوتن وهو نادر بين الناس : انما المهم ان الاستاذ اذا عمل وحده بعيدا عن الجامعة لم يبلغ اقصى انتاجه كما يعمل الى جوار غيره من العلماء فى الفروع المختلفة . ثم ان الطلبة الذين يتخرجون على أمثال هؤلاء الأساتذة يتعلمون ألا يصدقوا كل ما يكتب ، وأن الحق عسير يحتاج فى تحقيقه الى التجارب .

ويقول بعض المعارضين إن اشتغال الأساتذة بالبحث يقتضى ألا يقوموا بالقاء محاضرات كافية للطلبة ، ويترتب على ذلك مضاعفة عدد الأساتذة والاكتثار من المكتبات والمعامل . وهذا يكلف الادارة أموالا طائلة . ولكن هذه الأموال تنفق فى الواقع فى خير الوجوه وتأتى بأطيب الثمار .

التعليم الجامعى للنساء

ان ارتقاء الأمة مرتبط بتعليم البنات فيها ، فلا شك ان تأخر الهند يرجع الى تأخر نساها ، وقوة الروس سببا ترجع الى عمل لينين

على رفع مستوى النساء إلى مستوى الرجال من جميع الوجوه . ان
مدنية الامة تقاس بتقدم المرأة فيها . لأن أثر الأم في تربية الأبناء أثر
قوى لا ينكره أحد . وقد بلغت الأم شأواً بعيداً في التعليم الجامعي
في إنجلترا ، ما خلا جامعة كمبردج التي لا ترخص للبنات أن يصبحن
أعضاء في الجامعة ، وان كانت تسمح لهن أن يحضرن المحاضرات
ويؤدين الامتحانات . وفي كسفورد ما يزال استاذ جامد لا يقبل
ان تستمع البنات الى محاضراته . وتستطيع بوجه عام أن تقول ان
البنات في إنجلترا يجدن الفرصة التي يجدها البنون في التعليم ، ولا
اقول انهن يستفدن من الفرص المتاحة كما يستفيد البنون ، وذلك لأن
كثيراً من أولياء الأمور لا يرون ان ينفقوا أموالهم على تعليم البنات
وليست الجامعة مسئولة عن ذلك واذا كان النساء لم يبلغن بعد ما بلغ
الرجال من التضلع في العلم فذلك لحداثة عهدهن بالتعليم الجامعي .
وقد أخذ التعصب ضد النساء يتلاشى تدريجاً ، وقبل الرجال في كثير
من الأعمال أن يتأمرؤا بأمر امرأة تترأس عليهم .

الجامعة بأغراضها التي ذكرناها باهظة التكاليف ، فمن أين لها
مال ؟ يقول مدير جامعة برمنجهام ان بجامعة ١٧٠٠ طالب . وإن
إيراد الجامعة ربع مليون جنيه في العام ، وإن الجامعة لكي تستكمل
احاجاتها بحاجة إلى نصف هذا المبلغ بالاضافة إلى نفقاتها . وانها

بحاجة فوق ذلك الى مليون جنيهه تقيم به مبنى جديدا . من أين للجامعة المال ؟ هناك ثلاثه مصادر هامة : مصروفات الطلبة والهبات واعانة الحكومة ، وطالب الجامعة في انجلترا يدفع نحو ثلث أو ربع نفقاته فقط ، ومنهم من يتعلم بالمجان . والمصروفات الجامعية في انجلترا تتراوح بين ٣٠ و ٦٠ جنيها في العام ، ونسبة المجانية آخذة في ازدياد في غرب استراليا جامعة تعلم جميع طلبتها بالمجان . وفي أمريكا كذلك جامعات كثيرة لا تتقاضى مصروفات البتة من أبناء المنطقة على الأقل وإنما ينبغي أن يكون المورد الأساسي للجامعة إعانة الحكومة ، ومعنى ذلك زيادة الضرائب . وتبلغ نسبة ما يدفعه الفرد في انجلترا ضريبة على التعليم الجامعي شلنا في العام . ويجب أن يزداد هذا المقدار للنهوض بالمستوى الجامعي . لأن الجامعة ينبغي أن تقوم على أساس صحيح ، والا فالأولى اللامة ألا تقيمها البتة .

هذا في البلاد البريطانية . أما في مصر فالجامعات حكومية وعيها على ميزانية الدولة .

جامعات بريطانيا

نسوق جامعة كامبردج مثالا للجامعات البريطانية فجامعة كامبردج هي صغرى الجامعات الانجليزية الشهيوتين ، وكبراهما هي : جامعة أكسفورد . وقد تأسست أولى كليات كامبردج عام ١٢٤٨ ، ثم تعاقب افتتاح كليات أخرى حتى بلغ عددها العشرين كلية ، وكان آخر ما أنشئ منها كليتين في القرن التاسع عشر . لقد غيرت الحرب كثيرا من مظاهر مدينة كامبردج الصغيرة التي تبعد عن لندن ثمانين كيلو مترا يقطعها المسافر في ساعتين .

لقد أخليت بعض كليات لندن خلال فترة الهجوم الجوي عليها وتناقص عدد طلبتها من سبعة آلاف أبان السلم الى ثلاثة آلاف طالب زمن الحرب وذلك راجع الى حركة التجنيد ، والتحاق الكثيرين ممن يؤثرون ارجاء دراستهم الى ما بعد ، بسائر الورش الفنية . ولقد تغيرت الحياة اليومية أيضا ، فكان الطلبة يروحون ويحيثون في لباس الحرس الوطني ، ولا يناولهم على عدم ارتدائهم ثياب الجامعة عقاب .

وقد اختفت القبعات السوداء المسطحة بعد أن تقدم عليها العهد
وبليت وذلك لصعوبة الحصول على بديل عنها . أما الجامعة القديمة
فظلّت على ما كانت عليه فلم يدخل عليها تجديد عدا بناء المكتبة
الحديثة العهد التي تم بناؤها عام : ١٩٣٦ .
هذا وقد وضعت مشروعات لبناء دور للجامعات وانظمة جديدة
لنماذجها .



الجامعات في الحرب وبعدها

وعند الدكتور سليمان حزين أن الحرب غيرت الأوضاع الكثيرة في حياة الغرب . وإيس أثرها في الحياة العقلية والفكرية هناك أقل ظهوراً من أثرها في الحياة العملية ، وفي معالم الحضارة المادية . والذي يدرس تطور المدنية في أوروبا الحديثة لا يملك إلا أن يلمس ارتباط الحياة العامة وتنظيم المجتمع بالحياة العقلية وانجاهات الفكر والثقافة ذلك أن الناس هناك ، لاسيما في بلد كبريطانيا العظمى ، يملكون من أقدارهم ما يؤهلهم لا يفكروا — أو يفكر لهم فريق منهم على الأقل — في مستقبل حياتهم وفي الأسس المادية والقواعد العملية التي ينبغي أن يقوم عليها تنظيم مجتمعهم ، بعد أن هزته هذه الحرب هزتها العنيفة ، فكشفت عن نواحي كثيرة من القوة ينبغي أن تدعم وعن نواحي غير قليلة من الضعف ينبغي أن تستكمل .

ولعل من أظهر ما يمتاز به المجتمع في الغرب ، وفي بريطانيا التي نحن بصدددها الآن ، حيويته وحساسيته . فهو يشعر — أو يشعر

مفكره على الأقل -- بالحاجة الى الاصلاح ، متى لاحت بوادر
 تلك الحاجة في الأفق البعيد ؛ وهو يبدأ سعيه الى الاصلاح قبل أن
 تلح الحاجة اليه ، وقبل أن يصبح ضرورة لا مفر منها . وقد لانخرج
 كثيرا عن الحق اذا نحن قسنا حيوية الشعوب والأمم في الجيل الذي
 نحن مقبلون عليه بمقدار حساسية كل منها في الشعور بالحاجة الى
 الاصلاح ، والسعى اليه سعيا موجها يقوم على أساس من التفكير
 ورسم الخطط ، بدلا من الاصلاح المرتجل الذي لا يسبقه فكر ، ولا
 ينزع بالناس الى اقتناع .

وكثيرا ما جنبت مثل هذه الحساسية المجتمع البريطاني في تاريخه
 الحديث والمعاصر أخطار الانقلابات الخاطفة وويلات الثورات
 العنيفة . فكان قادة الفكر فيه يستشعرون الحاجة الى التحول ،
 فيغيرون من أفكارهم ويحولون من اتجاهاتهم ، في ضوء الخبرة والتجربة
 سواء منها ما يقع في بلادهم وتحت حسهم ، وما يقع في غير بلادهم
 ولكن في ظروف قد يتحقق ما يشعبها من قريب أو بعيد في بلادهم
 ان تركت الأمور دون توجيه . والغريب — أو لعله ليس غريبا —
 أن بريطانيا حاولت جهد طاقتها أن تتعلم من هذه الحرب المنتهية أكثر
 مما تعلم غيرها ، وأن تفيد من هذه التجارب الخطرة التي مرت بها ،
 أو مر بها غيرها من الأمم ، افادة قد لا تبدو آثارها عاجلة ، لأنها

لا تسلك سبيل الشر ، ولكن الزمن كفيل بأن يتكشف عنها في جلاء ، لأنها تتناول نظم المجتمع في الصميم .

والذي يعنيننا الآن من حركة التطور هذه أن نحاول أن نتبين مكان الجامعات من التحول الجديد ، ومبلغ مساهمتها في إرهاف حساسية المجتمع لظروف البيئة والزمن وأطوارهما المتجددة ، بل مكانها من توجيه الفكر والحياة العقلية والثقافية قبل أن تستقر على اتجاه معين ثم ربط الحياة العملية العامة بالحياة العلمية والفكرية للجيل الجديد . وليس يعنيننا في هذا المقام كثيرا أن نعد ما ساهمت به جامعات بريطانيا في الحرب . إذ الحرب هناك كانت كاملة شاملة ، ساهمت فيها الجامعات كما ساهم غيرها من مؤسسات الأمة ومصالح الدولة ، فاشترك كثير من رجال الجامعات وشبابها في الحرب والقتال اشتراكا فعلياً وهبط عدد الطلاب المنقطعين للعلم والدراسة هبوطاً محسوساً ، فأصبح مقصورا على من لم يبلغوا سن التجنيد من الطلاب والعاملات ، أو على المتفوقين تفوقاً خارقاً ، والذين يدرسون دراسات خاصة ، تجعل من الخير للأمة استمرارهم فيها ، لعلهم يساهمون يوماً ما في تقدم العلم والمعرفة بعدما يذكي من إنتاج الأمة وقدرتها على الحرب والكفاح أو على فئة قليلة من غير الصالحين للجندي والخدمة العسكرية في أشغالها

المختلفة ، ثم على نفر متناقص العدد من الآباء وأبناء الأمم المحايدة
 وغير المحاربة ممن يدرسون في بريطانيا . كذلك ساهم علماء الجامعات
 والقائمون بالأبحاث فيها مساهمة فعالة في جهود بريطانيا في الإنتاج
 الحربي ، فتوثقت الصلة بين معامل البحث ودور الصناعة ، وضاعف
 الباحثون والمخترعون مجهودهم لتسخير العلم في خدمة أداة الحرب في
 صور وأشكال تعدو الحصر . ولولا ذلك ما استطاعت بريطانيا
 مواصلة الحرب في الدفاع ، ثم في الهجوم خلال سنوات الحرب
 الطويلة ، وعلى تلك الصورة التي انتهت بها وبجلائها إلى النصر .
 كذلك توثقت الصلة بين معامل البحث وحقول الزراعة ، فأصبحت
 بريطانيا بعد انقضاء خمس سنوات على الحرب تنتج ثلثي ما تحتاج
 إليه من الأغذية بعد أن كانت قبل الحرب لا تنتج غير الثلث . وفي
 هذا تقدم لا يكاد يصدق ، خصوصا إذا راعينا أن بريطانيا منذ
 ثورتها صناعية لم تكن بلدا زراعيًا بالمعنى المعروف ، وأن التقدم
 في الانتاج الزراعي بطيء بطبيعته ، ومع ذلك فقد استطاع العلماء
 البريطانيون أن يقودوا الزراع وأن يرشدوهم في مسائل الاستنباط
 وانتقاء البذور وتنويع المحاصيل وإصلاح الأراضي وتجديد الآلات
 ومكافحة الآفات وغير ذلك مما كان أثره رائع في إنقاذ البلاد من غائلة
 الجوع ، بعد أن كانت حرب الغواصات أن تحول بين أهلها وبين

أن بطمعوا من الخارج شيئا .

لقد ساهمت الجامعات البريطانية والعلماء البريطانيون إذن مساهمة فعالة في جهود بريطانيا العسكرية والحربية العامة ، وكان لتلك المساهمة الحيوية أكبر الأثر في كسب الحرب . ولكن المهم أن الحرب لم تشغل الجامعات ورجالها عن التفكير في السلم ، أو على الأقل فيما بعد الحرب من سنين قد تكون سلاما ، وقد تكون انتقالا إلى حرب من جديد وإنما انتهز رجال الجامعات فرصة الحرب ليدرسوا ما كشفت عنه من أوجه العيب أو النقص في مجتمع ترى الجامعات بحق أن عليها جانبا كبيرا من قيادته ورسم خططه للمستقبل ، في عصر كاد العلم أن يتزعم فيه كل مرفق من مرافق الحياة ، فأصبح التفكير والتبصير ورسم الخطط والتوجيه لزاما على من أراد أن يعيش من الشعوب ، وأصبح واجبا على الجامعات إن هي أرادت أن تؤدي رسالتها للمجتمع في السلم كما أدتها في الحرب ، أن تتخذ عدتها وأن تعدل سياستها وتجدد من أداتها الخاصة ومن طرائقها في البحث والتعليم والتربية واعداد قادة الأمة في المستقبل .

لذلك أخذ الجامعيون البريطانيون يفكرون في المستقبل رغم ما أخذتهم به الحرب من شدة وقسوة . وكان تفكيرهم في المستقبل جديا وشاملا في الوقت ذاته ، ففتح المجال امام التفكير الحر في شؤون

الجامعة ووظيفتها في المجتمع ، وكثير النقد واتسعت دائرته حتى شملت الجامعة بمعناها الأوسع ، فشارك فيه رجالها وأبنائها وخريجوها في مختلف مناحي الحياة ، بل شارك فيه رجال الأعمال والحياة العملية في السياسة والصناعة والتجارة وما إليها . ومع أن الحكومة شامت أن تحفظ للجامعة قداستها وحريتها فلم تشترك في اللجان العديدة التي تألفت لهذا الغرض ، ولم تحاول التدخل في شؤون التعليم الجامعي وتنظيمه ، غير أنه كان مفهوما أن الحكومة تشجع الفكر الحر فيما يتصل باصلاح شؤون الجامعات ، كما أن السلطة التشريعية ، واحدى لجان مجلس العموم بنوع خاص ، أثارت غير قليل من النقاش حول هذا الموضوع . بل ان الغريب ان الجامعات في بريطانيا كانت اسبق مؤسسات الأمة إلى أن تتعلم درسا جديدا من هذه الحرب ، فدعت الاسانذة الأجانب الذين لجأوا اليها من بلاد أوربا قبيل الحرب في خلالها ، وكانت كثرتهم من قادة الفكر الحر في القارة الأوربية ، الى المساهمة في المناقشات الدائرة حول رسالة الجامعة في المجتمع والجيل البريطاني الجديد . وأخذت الجامعات بكثير من آراء هؤلاء الاسانذة الأجانب في رسم خططها للمستقبل . وقد تزعمت الجامعات البريطانية الأمة في هذا الصدد بالتمحور من بعض قيود الماضى ، والخروج على العزلة المعروفة عن الخلق البريطاني .

وترتب على هذا كله أن خرجت الجامعات البريطانية من الحرب
 ببرنامج جديد يساير الزمن ، بل يسبق الحاضر إلى ما ينبغي أن يقوم
 عليه المستقبل . وهذا البرنامج الجديد قد رسمت منه خطوطه الأساسية
 ومعالمه الكبرى ، كما رسمت منه بعض تفصيلاته ، ولكنه مع ذلك
 برنامج مرز قابل للتطوير والتغيير ، شأن كل برنامج غير رسمي ، وضعه
 رجال العلم لتهدي به جامعاتهم دون أن تلتزم باتباع حرفيته ؛ أو
 بالتحديد في حدوده وذلك أيضا شأن كل برنامج جامعي صحيح يحفظ
 للجامعة روحها وتقاليدها وتراثها في أن تحيا حرة طليقة وفي أن تحفظ
 لكل جيل وكل زمان حقه في أن يفكر لنفسه بنفسه .

ورسالة الجامعة كما يحدها الجامعيون تشمل مسائل أربع ،
 عرض لها البرنامج الجديد ؛ أو قل إنه قد أعاد استعراضها فحدها في
 ضوء ما استجد من ظروف وما يجب أن تضطلع به الجامعة من مهام
 ومسؤوليات . فالجامعة ينبغي أولا وقبل كل شيء أن تحتفظ بمكانتها
 كركز للثقافة القومية العليا ، تلتقي فيه الأفكار فيحتك بعضها ببعض
 وتتفاعل في ظروف مستمدة من الحياة البريطانية ذاتها ، حتى تتحد
 في النهاية طائعا يميز الفكر البريطاني عن غيره والثقافة البريطانية عن
 غيرها إذ أن الجامعة إذا لم ترتبط بالبيئة المحيطة بها لم يعد لها وجود

تميز ، وإذا لم ترتبط بحياة المجتمع وتحس حاجاته العقلية والثقافية لم
تستطع أن تستجيب لتلك الحاجات استجابة تعين المجتمع على أن
يؤمن بقيمتها يستجيب هو من ناحيته ويتأثر بما تغذية الجامعة من
نتاج العقل وثمار الفكر . ويحرص الجامعيون الآن في بريطانيا حرصا
شديدا على أن يؤكدوا للناس من جديد أن الجامعة بعيدة كل البعد
عن أن تكون مجرد « معهد عال » يمثل « المرحلة العليا » من نظام
التعليم العام . فهي أكبر من ذلك ، حين وضعت وزارة المعارف
البريطانية مشروع قانون التعليم الجديد وأقره البرلمان هناك ، لم يتعرض
القانون بكثير أو قليل للجامعة والتعليم الجامعي .

والجامعة إلى جانب ذلك تفي بنساجية ثافية ، هي القوامة على
الأبحاث والدراسات التي تساهم الأمة في تقدم العلم وازدياد المعرفة
الانسانية . وهذه الأبحاث ينبغي أن تشمل نواحي المعرفة جميعا ،
سواء في ذلك علوم العقل والثقافة الخالصة ، وعلوم المادة واستغلالها
العملي في قضاء مصالح المدنية . وبدون هذه الأبحاث لا يكتمل
للجامعة كيانه ولا تعد جامعة بالمعنى الكامل الصحيح . بل إن من
رأى القائمين على شئون الجامعات في بريطانيا الآن أن من الواجب
أن تهيا الظروف بعد الحرب ليخصص رجل الجامعة نصف وقته على
الأفل في إجراء الأبحاث العلمية الخالصة . كما أن من رأيهم أن ترفع

الدولة إعاناتها للجامعات الى خمسة أمثال ما كانت تدفعه قبل الحرب وذلك حتى يتيسر ظروف البحث ووسائله من اقامة المعامل ودور التجارب وحقوقها وغير ذلك وإن كان من رأيهم في الوقت نفسه أن تحتفظ الجامعات باستقلالها التقليدي في البحث ، فلا تكون مسخرة من الدولة لأجراء أبحاث معينة بالذات أو تقديم بحث على بحث كما كانت الحال أثناء الحرب ، وإنما يجب أن تتحرر الجامعة من كل قيد وألا يسيطر على رجالها أى مسيطر خارجي فيما ينزعون اليه من أبحاث مهما تكن قيمتها بالنسبة للأمة أو الدولة . وحجتهم في ذلك قوية ظاهرة فالجامعة في كل دولة من الدول إن حصرت أبحاثها فيما تكلفها به الدولة لقاء ما تدفعه من إعانة جرت على أبحاثها رقابة قومية ضيقة تقضى على ما يجب أن يتوافر للعلم والبحث من حرية ، وضرب على نتائج تلك الأبحاث أو جانب منها نطاق من السرية التي تقتضيها الانانية القومية ، ولا بد أن يؤدي ذلك الى تضيق نطاق التبادل الفكري والعلمي بين الأمم ، مما ينتهي حتما إلى تأخر العلم والبحث العلمي في تلك البلاد جميعا ، وفي هذا ما يقتل روح العلم وبطفيه نوره ويرجع بالانسانية إلى الوراء وسنرى في السنوات القابلة ما ينتهي اليه الصراع بين الروح العلمي

الجامعي من جهة والنزعات القومية الظاهرة والخفية من جهة أخرى .
وأما الناحية الثالثة التي تنهض بها الجامعة في اذاعة المعارف
ونشرها عن طريق التعليم ، مع أن هذه كثيرا ما تكون الناحية
الظاهرة من نشاط الجامعة ، فإن فريتها من الجامعيين المستمسكين
بجامعتهم يضعونها في المرتبة الثالثة بين أغراض الجامعة ، وإن كانت
كثرتهم لا تستطيع أن تتصور وجود الجامعة إذا لم يقترن فيها البحث
العلمي وتقدم المعرفة بالتعليم ونشر تلك المعرفة ، لاسيما بين شباب
الأمة ، فكلا الغرضين مرتبط بالآخر ومتداخل فيه . والجامعة
لا تكون جامعة إلا إذا كانت مقرا للثقافة العليا ، ومركزا للبحث
العلمي الخالص ، ودارا للعلم والتعليم وتخرج العلماء الناشئين والمواطنين
الصالحين في مختلف مناحي الحياة . وقد تنبّهت الجامعات الى ذلك منذ
القرن الماضي ، فقال أحد الجامعيين إذ ذاك ما معناه : « ان الجامعة
اذ لم تقرن التعليم بالبحث كانت كالعين الخنسة أو البركة الرابدة ،
يعب الطلاب من سطحها الماء الآسن مختلطا بنخيوط الطحلب والريم ،
فاذا ما جمعت بينهما غدت كالنبع الفائض ، أو المورد الجاري ينهل
منه الطلاب ماء قرا حار يروى ظمأهم ، ويحلو نفوسهم ويفيض الى غيرهم
من الظامئين » .

وإذا نحن تتبعنا تاريخ الجامعات البريطانية من الناحية التعليمية
 بدا أنها كانت تعنى فى القرن الماضى أكثر ما تعنى بتخريج قادة
 الأمة وحكام الامبراطورية . فكان يؤمها فى الغالب أبناء طبقة
 معينة تعد نفسها لتحكم والادارة فى بريطانيا ودا وراء البحار . وتعد
 التعليم الجامعى وسيلة صالحة بل أداة ضرورية فى إعداد الفرد من
 هذه الناحية . ثم تحولت الجامعات عن ذلك خلال الجيل الاخير إلى
 ما أصبح يعرف « بالتعليم الجامعى المهنى » الذى يعد الطلاب لمهن معينة
 وأصبحت كثرة هؤلاء الطلاب ممن يقصدون اليها لينالوا قسطا معيناً
 من التعليم الفنى الخاص المتصل باحدى المهن ، كالمهندسين والأطباء
 ورجال القانون ونفر من المعلمين وغيرهم ومع أن هذا النوع من التعليم
 قد زاد من ارتباط الجامعة بالحياة العملية العامة فان رجال الجامعة أخذوا
 يحسون فى الفترة الأخيرة أنه أدى إلى نوع متطرف من « التخصص »
 فى التعليم ، فانصرفت جهود الجامعة إلى تخريج المحترفين الذين يجيدون
 المهن المختلفة . ولكنهم لا ينالون القدر الكافى من ثقافة الجامعة
 العامة . فالطبيب الجامعى مثلاً قد يكون طبيباً ماهراً . ولكن انصرافه
 الشديد لا تقان تعلم مهنته أثناء وجوده فى الجامعة و مستشفياتها يهرفه
 عن الاستفادة من وجوده فى الجامعة لتوسيع ثقافته العامة واستكمال

أسباب تكوينه كواطن يجب أن يفهم المجتمع الذي يعيش فيه وأن يدرك قيمة مهنته في الحياة العامة . وكذلك الحال في المهندس وغيره ممن يتخرجون في الجامعة . وحتى فئة المدرسين قد تبين الآن أن الجامعات في بريطانيا لاتخرج منهم الا ربع من تخرجهم دور المعلمين التي لا تتصل بالجامعات وذلك يعد نقصا تسعى الجامعات إلى تلافيه إذ أن من يريد أن يحترف مهنة التعليم هو أولى من غيره بالحياة في الوسط الجامعي . والافادة منه في تكوينه الثقافي العام إلى جانب إعداده لمهنته الخاصة . كذلك ترى الجامعات أن يتسع نطاق عملها في التعليم المهني . بحيث يشمل جميع من يعدون أنفسهم للمهن العامة في المجتمع . لاسيما ذات الصلة الاجتماعية . كمن إدارة الأعمال في الشركات والمصانع . ووظائف الإدارة الإقليمية والبلدية وغير ذلك وأما الناحية الرابعة والأخيرة التي تتمم رسالة الجامعة في الجيل الجديد فربطه بالناحية الثالثة . وإكبتها لتناول جانبا خاصا من التربية والتدريب يستحق عناية خاصة . وهو جانب التربية الخلقية التي يقصد بها هنا ترويض الطالب الجامعي على الخلق الكريم والأخلاق الفاضلة . إذ ليس من وظيفة الجامعة تهذيب النفوس بعد أن يصيها السقم وتقويم الخلق بعد أن يعوج ولن تستطيع الجامعة أن تحل محل البيت والمدرسة

ولا أن تصلح ما أقسمناه الا بفدر محدود وفي حدود ضيقة . وليس
يحدث كثيرا في دور الشباب أن تنقلب الجامعة الى دار للتأديب
والتهذيب أو للوعظ والارشاد بل ان ضرر ذلك قد يكون أكثر من
نفعه . وليس من الانصاف أن تكلف الجامعة مالا تطيق ومالم تنفعا
من أجله . لذلك يرى الجامعيون أن يقتصر التهذيب الخلقي في الجامعة
على ما تستطيع أن تنقن . فتعين الطالب على تربية شخصيته في دور
الشباب . وتحول نشاطه الفاض الى ما ينمى فيه روح الجماعة ويعوده
تحمل المسؤولية وقبول التضحية كواطن يعيش للجمتمع كما يعيش لنفسه
ويذهب بعض الجامعيين في بريطانيا الى أن يقترح فرض الخدمة
العسكرية الاجبارية على الطلاب خلال عام قبل تقديمهم للدراسة
الجامعية مباشرة . فهي خير ما يعود الطالب الطاعة . ويحمله على حب
العمل في الجماعة ومن أجلها . وان كانت كثرة رجال الجامعة ترى أن
من الممكن تربية الشخصية واثماء روح الجماعة في الطالب اذا توسعت
الجامعات في تكوين جمعيات الطلبة من رياضية واجتماعية وعلمية
وأدبية . فهي التي تمكن الطلاب من أن يفيدوا الى أبعد حد مما
يعرف بالحياة الجامعية في أوسع معانيها . ولا شك أن اعداد الطالب
من هذه النواحي المتصلة بالشخصية وتحمل المسؤولية وادراك الحق
والواجب في وضئهما الصحيح ، كل ذلك مما يعين الطالب بعد تخرجه

على أن يصبح مواظباً صالحاً مهما كانت مهنته في المجتمع عالماً أو طبيباً أو مهندساً أو معلماً أو غير ذلك .

وعند الأستاذ عطية الأبراشي أنه في إنجلترا يلتقط الأذكى كالمهرقة ويضعون في المسكن اللائق بهم ويفتح السبل في وجوههم . كي تنتفع الأمة بذكائهم . يتعلمون التعليم الابتدائي بالمجان . ولا بد أن يحصلوا على جائزة للمجانية في المدارس الثانوية . وبعد أن ينتهوا من التعليم الثانوي قد يحصلون على جائزة للتعليم بالجامعة . وهذه الجوائز ميسرة لكل من أظهر ذكاء . ولأضرب لكم مثلاً باللورد « بركنهد » الذي كان من أكبر الوزراء العاملين في وزارة المحافظين في سنة ١٩٢٩ . فقد نشأ بين أحضان أسرة فقيرة . وحدث أن مات أبوه وهو طفل فعنيت والدته بتربيته ، وتربية أخوته بقدر ما استطاعت . وقد عرفت ما فطر عليه ابنها من ذكاء متوقد . فعدلت على أن تصل به إلى حيث يظفر بمجانية التعليم في جامعة (أكسفورد) وكان لها ما أرادت . فقد نجح في امتحان الجامعة . ونال الجائزة الأولى التي يتوقف عليها مصيره ومستقبله . ولم يكن معه إذ ذاك من النقود ما يكفي رجوعه إلى بلده . بدأ يتعلم في الجامعة مع أبناء الطبقة الخاصة من الأمة وظهرت عليه مخايل الذكاء وعلامات النبوغ والمقدرة الخطابية في ذلاقة لسانه ، وبراعة منطقته وقوة حجته . وفي حفل انتخابي سمعه

الراحل د يوسف تشمبرلن ، فأعجب به كل الاعجاب ، وسأله أن يقابله بعد الانتهاء من حياته الجامعية فقابله بعد سنتين ، وعندئذ عرض عليه اللحق بحزب المحافظين ، ففعل وثابر حتى وصل بعلمه وعمله إلى الدرجة التي كان يتمناها .

فلو لم يعط (اللورد بركنهد) فرصة التعليم لقبر ذكاه حيا ، وما انتفعت بلاده بذكاه وعبقريته ، فالتعليم الحق هو الوسيلة الوحيدة لاغلاق السجون ، وهو الطريق الوحيد لرقى الفرد والجماعة ، بل هو سر عظمة الأمم ، ومظهر سيادتها وقوتها ، وقد خرج النبي صلوات الله عليه فيما يخرج له كل يوم . فرأى مجلسين : أحدهما فيه قوم يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه ، وفي الثاني جماعة يعلمون الناس فقال : « أما هؤلاء فيعلمون الناس ، وإنما بعثت معلما » ثم هدل اليهم وجلس معهم ، وبذلك ضرب الرسول الكريم خير الأمثال في تشجيع التربية والتعليم ، والحث عليهما ، والاعتراف بفضل مهنة التعليم ، وقد علم الله نبيه دعاء يدعو به فقال « قل رب زدني علما » ، وكان الرسول صلوات الله عليه يقول « الناس رجلان عالم ومتعلم ولا خير في سواهم » وقال « من أراد الدنيا فعليه بالعلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم » ، ومن أرادهما معا فعليه بالعلم ، كما قال « كونوا للعلم دعاة ولا تكونوا له رواة » ، وفي هذا حث من النبي على تدبر العلم وفهمه ، ومعرفة وجه

المنفعة فيه ، وتطبيقها على المصلحة العامة والخاصة .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه د يا بني تعلموا العلم ، فان كنتم
سادة فقمتم ، وان كنتم سوقة عشتم ، وقال مصعب بن الزبير لابنه
د تعلم العلم فان لم يكن لك جمال كان لك جمالا ، وان لم يكن لك مال
كان لك مالا ، فالعلم زينة من لازينة له ، ومال من لامال له ، وقال
(شكسبير) د العلم هو الجناح الذي الذي نستطيع أن نطير به إلى
السماء ، وقد صرح أحد الكتاب الفرنسيين بقوله : د إن العالم سائر
بنجاح نحو التفكير في الانسانية ومن المحال أن ترقى أمة من الأمم
إلا بتعميم التعليم ، فالمدينة والحضارة والتقدم في العلم ، والأبداع
في الاختراع من كل ما نراه بأعيننا في الأمم الراقية نتيجة التربية العامة
والتعليم المنتشر بين جميع الطبقات . .

وقال (جورج واشنطن) محرر أمريكا : د العلم هو السبيل
الوحيد ، والأساس المتين لسعادة الجمهور ، ولقد نقشت هذه العبارة
القيمة التي فاه بها (واشنطن) في خطبة الوداع على قلب كل أمريكي
وهي : د إن أول أمر هام هو أن تهمضوا بالمدارس لفشر التعليم العام ،
وقد كتب (توماس جيفرسون) الرئيس الثالث للولايات المتحدة
بأمريكا . إن التعليم الذي سيعم كل طبقة من أبناء شعبنا من أغنام
إلى أفقرهم سيكون أول شيء يتعلق بالجمهور الذي أحبه ، وأفكر فيه

إن الشعب الذى ينتظر أن يكون حرا جاهلا فى وقت واحد هو شعب ينتظر عالما يحدث ولن يحدث ، فحيثما تكون الصحافة حرة ، يكن كل إنسان قادرا على القراءة والكتابة تكن الديمقراطية آمنة ، ،

ولقد قالى (هوربس مان ، ومارى ليون ، وفرنسيس باركر) من المربين الأمريكين كثيرا فى سبيل تعميم التعليم بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومدارس العامة بها اليوم هى المناهل العذبة التى يرتشف منها كل طفل ماهو فى حاجة اليه من العلم ، وفيها يتعلم الأطفال جميعا الحب والأخلاص لبلائهم ، فيبن جذرائها تتحد الميول والنزعات وتسمو النفوس والأغراض ، وتقوم العادات والأخلاق ، وقد تعلم فى هذه المدارس كثير من أطفال اسكوتلندة وويلز وانجلترا وأرلندة وفرنسا والمانيا وروسيا وسورية ، بمن نزحوا إلى تلك الأرض الجديدة فجعلتهم مدارس الشعب جميعا أمريكيين ، وغرست فى نفوسهم حب وطنهم الثانى ، الذى اتخذوه مستقرا ومقاما ، فهم الآن يعدون أنفسهم أمريكيين ، لهم ما للأمريكين وعليهم ما عليهم ، والفضل فى ذلك إلى مدارس الشعب ، التى يتلاقى فيها كل طفل وطفلة من كل جنس ودين وطيئة ، على أرض واحدة ، وتحت سقف واحد من غيرة أو تمييز .

وللمدارس العامة فى أمريكا مكان فى قلوب أفراد الشعب

ينظر اليها نظرة تقديس وإجلال وإكبار ، ويعتقد الأمر يكون جميعا
 أن بالتربية والتعليم تستطيع الولايات المتحدة أن تقود العالم في الأفكار
 والاختراعات والصناعات ؛ لذلك يدفعون ضرائب التعليم
 بقلوب راضية ، ونفوس مطمئنة ، ولا يعدونها حملا ثقيلا على
 أكتافهم بل يعدونها واجبا مقدسا نحو أمهم ، التي يفخرون بالانتساب
 اليها ، والعمل على إسعادها ورفقها . ولقد كشفت الحوادث التي
 نجمت عنها الحرب أن الأمريكيين حقا قد ملكوا زمام العالم بهذا
 الاختراع الجديد ، الذي مكنهم من استخدام الطاقة الذرية .

وفي الولايات المتحدة لا ينظر دافعو الضرائب اليها نظرتهم الى
 صدقة من الصدقات . بل يعدونها ضرورية لرقى الأمة وسعادة المجتمع
 ويشقون بأن سعادة الشعب تتوقف على ذكائه . وتربيته تربية حقة .
 يعتقدون أن الانفاق على تعليمه أفضل الوسائل للثروة . فالعمل
 يمتزج بالجهل ليس بالرخيص . بل هو غال دائما . فكثيرا ما يتلف
 الجاهل الآلة التي في يده لجهله . وهو على الدوام في حاجة إلى
 إلقائه ويلاحظه . ويبين له طريق العمل . وهو في الغالب لازمة
 سير . والجاهل لا يعرف كيف يستعمل أوقات فراغه في
 نفع . من إصلاح نفس أو جلب مسرة ، أو قراءة
 اجتماع محاضرات أو مناظرات . فيعتاد السكر والميسر .

والعنف والقسوة ، والاخلال بالنظام ، والثورة على القانون ، حتى
يصبح خطرا عظيما وفسادا كبيرا .

أما العمل يصحبه العلم والذكاء وحسن التصرف فقد أنشأ في
أمريكا المصانع المختلفة ، وجعلها تنتفع بغاباتها الواسعة ، وبراريها
الشاسعة ، وهيا لها فرصا كبيرة للحصول على الأموال وتثميرها ،
حتى أصبحت الولايات المتحدة أغنى أمم العالم ثروة ، وأعظمها علما
وصناعة ، وأرقاها زراعة وتجارة .

وإذ نحن نعدد فوائد العلم والتعليم وجدنا أنفسنا أمام قضية
أدلة الاقناع فيها واضحة ، فمقدماتها من البدهيات ونتائجها أمور مسلم
بها ، والله تعالى يقول : « هل يستوى الذين يعلمون والذين
لا يعلمون » ، وقد كان النبي الله عليه وسلم ، يشجع على التعليم عملا
وقولا ، فمن ذلك أنه كان يطلق سراح أسرى الحروب إذا علموا
بعض المسلمين القراءة والكتابة ، وقال « طلب العلم فريضة على
كل مسلم ومسلمة » ، وقال الغزالي « من أصاب علما فاستفاد وأفاده كان
كالشمس تضيء لنفسها ولغيرها وهي مضيئة » .

وقال بعض الحكماء « اطلبوا العلم من المهد الى اللحد » وقال
افلاطون « التعليم أفضل شيء يملكه أفضل الرجال » ،
وقال (مونتين) « الجهل أس الرذائل » ، وقال (فولر) « التعليم

خير منحة يمكن أن تمنح ، وقال (جيمس ماديسون) الأمريكى . إن
 حكومة تكسب حب الشعب من غير تعليم مقبول عند الجمهور لا يكون
 عملها إلا مقدمة لرواية هزلية أو مأساة أو مقدمة لكتلتها . .

وقد كان من نتائج الحرب الكرى الماضية أن تفهت الأمم في
 أمريكا وأوربا إلى شعور جديد نحو التعليم ، فلما وضعت تلك الحرب
 أوزارها أخذت إنجلترا تفكر فى الوسائل التى تنهض بالتعليم ،
 فبعد أن كان التعليم إجباريا الى الرابعة عشر ، مدت مدة التعليم الى
 الثامنة عشرة ، ورحبت البلاد بقانون التعليم فى سنة ١٩١٨ الذى
 وضع لرفع مستوى الجيل الجديد فى التربية والتعليم ، وقد تحملت هذه
 الأمة العظيمة فى سبيل ذلك المشروع عبئا ماليا ثقيلا أكثر بكثير
 من العبء الذى كانت تتحمله فى سبيل التعليم قبل تلك الحرب الماضية
 فوزارة المالية الانجليزية تدفع إعانة للتعليم أكثر من ثلاثة أضعاف
 لإعانة التى كانت تدفعها قبل سنة ١٩١٤ . وذلك لأن التعليم فى إنجلترا
 أمر يهم الشعب والحكومة والجهات المحلية كل الاهتمام ، لأن كل فرد
 هناك يشعر بفائدة التعليم وأثره ، ولأمر ما قال الفيلسوف (أرسطو)
 . أعطى إدارة التعليم وأنا أتعهد لك بقلب العالم . .

التعليم عند العرب وفي الاسلام

كان لدى عرب الجاهلية التنجيم والطب العتيق دون العلم النظامي، كان عندهم والعيافة والسحر. وعند الأستاذ كارادى فوفى كتابه "مذهب الاسلام"، لا يجد الانسان في الشرق الاسلامي ذلك الذوق الفطري للتعليم، ولا الميل للبحث عن المفاهيم العقلية ولا الرغبة في التقدم في أمثال هذه المسائل. ولم يهتم الاسلام بأمر الطفل وكذلك لم تحفل به المسيحية. والطفولة عند المسلمين بسيطة، ويبدو أنها سعيدة. ولا تجد في القرآن إلا آيات قليلة جدا تتعرض لهذا الموضوع. فالكتاب المنزل لا يشمل إلا بعض الآيات الخاصة بالواجب نحو اليتامى وحمايتهم هذا والسير التاريخية المتعلقة بالطفولة نادرة في الأدب الاسلامي وقد ألقت رسائل جليلة في التربية باللغة العربية خلال القرون الوسطى، ولكن المؤلفين لها من المسيحيين العرب. وقد أهمل المفكرون المسلمون هذا الموضوع بعض الشيء، وأثر الابتكار فيما أضافوه ضئيل وقد عرفوا الآثار التي ألفها المسيحيون، أو التي درسها المسيحيون، مثل الكتاب المؤلف في للتربية والمنسوب إلى أفلاطون والغالب أن

كليون من مدرسة فلوطرخس ، وهو الكتاب الذى قام بترجمته أحد
المسيحيين (١) .

وقد أخطأ الأستاذ كارادى فو، فى هذا رأى ، ويقول الدكتور احمد
فؤاد الالهوانى انه لو وقع الأستاذ كارادى فو على رسالة القابسى المخطوطة
لغير من رأيه ، وخفف هذا الحكم الذى ينسب إلى المسلمين الجمل
بموضوع التربية ، خصوصا تربية الأحداث والصبيان ، ثم الاعتماد
التام على المسيحيين من العرب (٢) ، وما قاموا بترجمته فى هذا الفن عن
عن اليونانية وغيرها !

وقد تبين لنا أن المسلمين ألغوا فى التربية كتباً مستقلة ، منها
كتباً مستقلة ، منها كتاب ابن سحنون ويرجع تاريخه إلى القرن
الثالث الهجرى ، ومنها كتب متأخرة عن هذا التاريخ بعضها مطبوع
وبعضها لا يزال مخطوطاً ، وإلى جانب ذلك ثمة فصول كثيرة متناثرة
خلال مؤلفات الفقه ، وكتب الفلسفة وموسوعات الأدب ، تتحدث
عن تعليم الصبيان ، وتصف أحوالهم وتبين أحكام التعليم .

وهذه الكتب والرسائل والشذرات أغلبها إسلامى بحت ، تغلب
عليه الروح الإسلامى ، وعلى الأخص ما ذكره الفقهاء فى كتب الفقه

(١) ص ١٩٤ من كتاب مذهب الاسلام : كارافو .

(٢) التعليم فى رأى القابسى : الدكتور الالهوانى

ورسالة القابسي تزيل الخطأ من أن المسلمين لم يعنوا بتعليم
 الصبيان ، وثبت أن المسلمين ابتكروا في التربية آراء جديدة لم
 يصطنعوها عن العرب المسيحيين ، أو ينقلوها عن التراجم اليونانية
 واللاتينية التي قام النقلة من المترجمين بتقديمها الى العالم العربي .

وهذه الرسالة دليل على تأصل الميسل إلى فن التعليم ، والاهتمام
 بالطفل ، والاشتغال بالبحث والتنقيب والتفكير في المسائل ، من
 جميع أطرافها وزواياها رغبة في التقدم والرقى .

لهذا كانت رسالة القابسي في أحكام المتعلمين ، وأحوال
 المعلمين والمتعلمين ، من جهة ما جاء فيها من آراء مفصلة وحل للمشكلات
 المعضلة ، وتسجيل لجميع الأمور التي تخص التعليم والتأديب ، رسالة
 عظيمة القدر بالغ الأهمية .

وإذا نظرنا إلى القابسي كأحد المربين في الاسلام ، فهو صاحب
 رأى ، وصاحب رسالة ترفع اسمه إلى قائمة قادة التربية ، ولا سيما إذا
 عرفنا أنه عاش في القرن الرابع الهجرى ، أى في صميم القرون الوسطى
 التي يعدها المؤرخون في عصور الظلام والتأخر في حياة العالم

ذلك أن الميزان الذي يقاس به قادة الفكر وزعماء الرأى ، هو
 سبقهم للزمان ، والتقدم في سبيل الرقى لبنى الانسان . وطريق الرقى هو
 الطريق الذى يميز عالما عن آخر ويرفع المفكرين إلى قوائم المجد والتخليد

ومن الآراء التي تجملنا نضع القابسي في سجل المبرزين ، المناداة بالتعليم الإلزامي ، فهذا الرأي من أدلة التقدم ، ولم تأخذ به الحضارة الحديثة إلا في عصور متأخرة ، ولا تزال الدول تنادى به عاملة على نشر التعليم بجميع الوسائل . ليتزود من نور المعرفة جميع افراد الأمة والذين قصروا التعليم على طبقة معينة ، وحرموا أغلب الشعب من نعمة المعرفة . إنما كانوا ينظرون الى مصلحة طبقتهم ، لينعموا بالسلطان والثروة والجاه ، لأن العلم يفتق الأذهان ، ويبصر الانسان بحقوقه وواجباته ، ويدفعه إلى المطالبة بهما .

وهذه هي الانانية المتأصلة في النفوس .

وقد برزت الى العالم أفكار جديدة ، تحمل في طياتها روح الايثار والخير للانسانية كافة ، ليشارك الناس في الحقوق وليتمتعوا بالحرية والاخاء والمساواة .

ان حرمان فريق من الناس التعليم ، هو القتل الأدبي . لأنه يقبر العقول ، ويطمس الأذهان ، ولعل هذه العقول اذا زالت عنها غشاوة الجهل أن تتفتق عن الخير والحق ، والعمل الصالح للانسانية بما لا يستطيع أن يفعله أبناء الأغنياء .

وقد عادت الدول الاسلامية الى نوع من الاستقرائية الحادة ، خصوصا في العصور المتأخرة ، حيث انطوت الطبقة الرفيعة على نفسها

وعلت على العامة علوا كبيرا ، ولم يكن الحال كذلك في صدر الاسلام
ولا تتفق هذه النزعة مع الروح الصحيح للاسلام . والدليل على هذه
الاستقراطية هو اتخاذ الامراء ومن شاكلهم المؤيدين لأبنائهم حتى
لا يختلطوا بأبناء العامة في الكنائس ، وقد أشار الى ذلك الجاحظ
في البيان والتبيين عند تقسيمه المعلمين قسمين ، قسما يعلم أبناء الملوك
والامراء ، وقسما يعلم أبناء السوق . وأشار ابن سينا في كتاب السياسة
الى هذه النزعة أيضا ، فلم يقرها ، وآثر لمصلحة التعليم وفائدة الطفل
أن يشترك مع غيره من الصبيان .

أما القابسي فإنه خاطب الجمهور ، وفكر في مصلحته ، ونظر الى
فائدة أبنائه ، وأهمل الكلام على الامراء والاشراف ، فلا نجد إشارة
الى هؤلاء المذنبين الذين يصحبون الملوك لتعليمهم وتأديبهم .

فالقابسي ، حين يطالب بتعليم أبناء المسلمين جميعا ، القادر منهم
وغير القادر ، والموسر والمعسر ، بل المعدم ، وحين يقدم اليهم لونا
واحدا وثقافة واحدة - لا يخصصها أحدا دون أحد ، وإنما يجري في
طريق التقدم العقلي ، ويشرف على الانسانية من سماء العدل والحق والخير
وهذه هي الديموقراطية في التعليم . فكما أن هناك ديموقراطية
عقلية تفتح الأبواب لجميع الناس لينهلوا من بحور العلم التي لا تنضب .
وقد كان مذهب أهل السنة مذهب الجمهور ، فكان أنسب المذاهب

إلى عقولهم ، وأقربها إلى الديمقراطية .

وقد أشارت الأنسة أسماء فهمي ، وكذلك خليل طوطح ، في رسالتهما إلى الروح الديمقراطية البارز في التعليم عند العرب .
هذه الديمقراطية هي التي أوحى إلى القابسي أن ينادى بتعليم البنات ، بالرغم مما يعترض تعليمهن من عقبات ناشئة عن المجتمع الاسلامي وشدته ، في النظر الى علاقة الرجل بالمرأة ، وغيره المسلمين على العرض ، وما جاء في القرآن من عقاب شديد للزاني والزانية . ولا تنس أن روح المحافظة على المرأة هي التي أدت الى الحجاب الشديد في أواخر عصور المسلمين .

والفرق بين التعليم الالزامي كما يقرره القابسي وبين التعليم الالزامي الذي ساد الدول التي أقرته منذ القرن التاسع عشر الميلادي هو أن الدولة الحديثة مكلفة بالتعليم ، وملزمة بافتتاح المدارس التي تسمح بتعليم جميع أفراد الدولة ذكورا وإناثا . فالتعليم واجب على الدولة ومن جهة أخرى فهو حق حقوق الأفراد ، عليهم أن يطالبوا به ، وأن يقدموا أبناءهم لتلقي العلم في المدارس التي تنشئها الدولة . وإذا امتنع أحد عن تعليم أبنائه ، حل به العقاب لمخالفته هذا الواجب بينما الزام القابسي للتعليم الزام ديني أدبي لا الزام قانوني ، لهذا لم يضع القابسي عقابا لمن يترك أبنه دون تعليم ، بل ترك هذا الواجب لعقاب

الله وضميره وجزاء المجتمع فقال : « لو ظهر على أحد أنه ترك أن يعلم ولده القرآن تهاونا بذلك لجهل وقبح ونقص حاله ، وضع عن حال أهل القناعة والرضا » .

مِقد سئل القابسي عن « رجل امتنع أن يجعل ولده في الكتاب هل للامام أن يجبره ؟ ... وكيف ان كان له أب وله مال ولا يبالى ذلك فهل للامام أن يسجنه أو يضربه على ذلك أم ليس ذلك » . وفي هذا شعور أهل ذلك الزمان بمسئولية اهمال الطفل ، ومحاولة تقرير قاعدة العقوبة لمن يتخلف عن أداء هذا الواجب . ولأن القابسي لم يستطع فيما أجاب به السائل ، أن يقرر هذه العقوبة لأن منهجه الفقهي لا يبيح أن يقرر أمر ليس له نص في الدين .

واذا كانت الحكومات الحديثة تنفق من مال الدولة الشيء الكثير على التعليم باقرار نواب الأمة الممثلين لها لفائدة الأمة ، فقد نصح القابسي بتعليم أبناء المسلمين غير القادرين على الانفاق على التعليم ، ودفع أجر المعلم ، بأن يقوم بيت مال المسلمين بالانفاق عليهم .

وقد تطورت الفكرة فيما بعد الى نظام الأوقاف التي يحبسها المومنون على المدارس ضمانا لحياتها ، واستمرارا لوجود التعليم .

وليست فكرة التعليم العام ، أو تعليم البنات هما الفكرتان الوحيدتان المقررتان عند القابسي ، مما يجعلنا ننظر اليه على أنه

مفكر يثشد الرقي والتقدم ، بل هناك آراء أخرى كثيرة ترفع القابسي إلى درجات المفكرين البارزين ، وتسمو به إلى منزلة المصلحين .

من ذلك رأيه في طرق الحفظ التي ينبغي أن يصحبها الفهم . وهو من الآراء الصائبة الصحيحة . ثم التثبث بما يحفظ الصبي فلا ينقله المعلم من سورة إلى سورة حتى يحفظها باعراها وكتابها .

وفي طرق التربية والتأديب ، هناك كثير من الاشارات الدالة على البصر بشتون الصبيان وحسن سياستهم . ومن ذلك الحذر من الصبيان إذا بلغوا سن الاحتلام ، وعدم الجمع بين الذكور والاناث بعد سن الطفولة . ومن ذلك اتخاذ العريف ليعاون المعلم . مما يفيد الصبي في حياته من جهة الاعتماد على النفس ، وتكوين الشخصية . ويتصل بذلك أن يقوم الصبي بأعمال تفيده في تخريجه مثل كتابة الرسائل للناس ، وإملاء الصبيان بمضهم على بعض . مع الإبقاء على صلة الدين بالتعليم وعلى التربية الخلقية والعقاب وطرق التعليم ، فلا نعود اليه . وإنما نحب أن نعلل هذه الآراء لبيان المصادر الذي استقى منها القابسي أحكامه في التعليم ، لنرى أكان مبتكرا لم يسبقه أحد أم ملخصا لمن تقدمه ، أم ناقلًا عن شيوخه ، مقلدا لهم .

والقابسي قد فصل القول في موضوع التعليم من جميع نواحيه ، فكتب عن التليذ والمعلم ، والمناهج التي يتلقاها الصبي ، وطرق التعليم

والتأديب ، ومكان التعليم . وهذا التفصيل يصف أحوال تعليم الصييان في القرن الرابع الهجري في شمال افريقية .

ولا نستطيع أن نتخذ هذا الوصف عنوانا على التربية الاسلامية في جميع العصور ، وعند جميع المفكرين المسلمين . وقد اتضح لنا أنه فيما يتعلق بالتربية عند المسلمين قد اختلفت آراء المفكرين فيما يختص بأغراض ووسائل التعليم . فالغزالي يختلف عن ابن مسكويه ، وابن سينا يختلف عن ابن خلدون ، وهؤلاء يختلفون عن إخوان الصفاء ، وهكذا .

وقد نجد بعض الآراء المشتركة العامة عند المسلمين جميعا ، أخذوا بها في جميع العصور ، مثل البدء بتعليم القرآن ، والنص على تعلم القراءة والكتابة ، وأخذ المتعلمين بالشفقة لا بالشدّة . ومع ذلك فهناك اختلاف في طريقة التعليم في المشرق والمغرب ، كما ذكر ابن خلدون في مقدمته ، وهو خلاف على هذه المسائل العامة الأولية المختصة بتعليم الصييان

وإذا نزلنا إلى ميدان التفصيلات المتعلقة بالتعليم فاننا نجد الخلاف كبيرا بين أصحاب المذاهب . فابن مسكويه يرى أن الغرض من التعليم هو الوصول الى الحق والخير والجمال . وإخوان الصفاء يرغبون في تنشئة الناس على مذهبهم الفلسفي وعقيدتهم السياسية ، والغزالي يمهّد

الى معرفة الله بطريق التصوف ، ومجاهدة النفس ورياضتها

والأمثلة كثيرة على هذه الاختلافات الجزئية ، وعلى الأغراض العامة . لهذا كان من الخطأ أن ينظر الباحثون في التربية الاسلامية جملة ، دين تحديد الجهة التي تقوم بالتعليم وتعمل عليه ، ودون تحديد العصر الذي ساد فيه هذا اللون من التعليم .

أما التفسير الصحيح للآراء الاسلامية المختلفة في التعليم فهو أن نردها الى المذاهب العقلية التي كان أصحاب هذه الآراء التعليمية يعتقدونها من جهة ، ثم ملائمة هذه الآراء لحالة المجتمع من جهة أخرى ويقول الدكتور الالهواني : أن التفسير ينصرف الى ناحيتين ، ناحية عقلية ، وناحية اجتماعية . وعلى هذا الأساس الجديد الذي يطالب به ، والذي لم يسبقنا اليه أحد من الذين عالجوا الكتابة في التربية عند المسلمين ، تستقيم النظريات التعليمية وترد الى أصولها الصحيحة ، ويتضح لنا السر في اختلاف مذاهب التعليم والتأديب في الممالك الاسلامية المختلفة وفي عقول المفكرين .

وخلاصة هذا الرأي الجديد الذي نقول به ، أن أهل السنة كانت لهم طريقة خاصة في التعليم ، وللغلاسفة طريقة أخرى ، وللمتصوفة طريقة ثالثة . بل أكثر من هذا أن كل مفكر له طريقة خاصة في التعليم تتلاءم مع مذهبه ، وتتفق مع مجموع آرائه .

وليس هذا غريبا في شيء لأن التربية تعد جزءا من المذهب الفلسفي النظري أو العملي الذي يتصوره ويعتقده المرء في الحياة . ومن الطبيعي أن يعمل أصحاب المذاهب المختلفة على نشر مذاهبهم وإذاعتها في الناس ، وتنشئة الأجيال الجديدة عليها ، بطريقة من طرق التعليم ؛ لأن من طبيعة الانسان إذا اعتقد الحق أن يذيعه في الناس ، ويحملهم على المشاركة فيه .

وهذا ما فعله أفلاطون قديما ، حين دسم في جمهوريته عن التربية ليطبع الناس على آرائه . وهذا ما فعله روسو ، وسبفسر وغيرهما أى أن صاحب الفكر الجديد إذا أراد أن يكفل لآرائه الذبوع بين الناس ، بطريقة عملية تحمل الناس على اعتناق آرائه ، فإنه يصف طريقة التعليم الملائمة لهذه الآراء .

ولما كان المعلمون في الكتب يتدبهم من أهل السنة ، شب الناس بالفعل على طريقتهن ، وتشبهت بهن عقولهم ، وتطاعت نفوسهم ، وصعب الانصراف عنها ، وأصبح المسلمون ينظرون إلى الحياة من خلال هذا المنظار . وبذلك ساد مذهب أهل السنة ، وأصبح هو صاحب الغلبة في أغلب الأفطار الإسلامية .

أما الناحية الثانية التي بها تفسر الآراء التعليمية فهو نسبتها إلى المجتمع الذي ظهرت فيه هذه الآراء ، إذ كان التعليم مظهرا من

مظاهر الحياة الاجتماعية .

وهذا يقتضى منا أن ننظر هل كانت الآراء التعليمية واقعية أم مثالية ؟ فإذا كانت واقعية فإنها تصف ما هو كائن فعلا في المجتمع ، وتعد في هذه الحالة ظلا للحياة الاجتماعية . وإذا كانت مثالية ، فإنها لا تتعدى عقول الذين نادوا بها ، ولا تمثل حقيقة المظاهر الاجتماعى وقد كان القابسى واقعيا يصف ما كان يجرى في المجتمع الاسلامى في القرن الرابع الهجرى .

ولم يكن الحال كذلك في الآراء التى بسطها كثير من المفكرين في الاسلام ، ونضرب في هذا الصدد المثل بما ذكره الغزالى عند الكلام على الأجر ، فقد نصح بالتعفف عن تناول الأجر تشبها بالرسول ، وما يفغى أن يكون ، ولم يكن هذا هو الواقع ، حيث كان المعلمون يأخذون الأجور على التعليم ، ولم يتحقق رأى الغزالى لمخالفته طبائع الأشياء ، واغراقه في التطلع الى الغايات الروحية .

كان التعليم في فجر الاسلام تطوعا وذلك لقوة الروح الدينى ، وتغلبه على النزعات المادية ، فلما فترت هذه الروح أخذ المعلمون الأجور ، ولما فسد المجتمع تطلع المعلم الى ما هو أكثر من الأجر . وقد رأينا كيف أجاز القابسى أن يتناول المعلم الهدايا في المواسم والأعياد كما جرت به العادة فالقابسى يخضع لروح المجتمع ، وينزل على أحكامه . كذلك

كانت بطلالة الصيوان من عادة الناس . فالتفسير الصحيح لشئون التربية والتعليم يقتضى الرجوع الى المجتمع الذى يشكل حالة التعليم ، تبعاً للتيارات التى تسوده وتوجهه .

فاذا كان المعلم فى الكتاب ينصرف الى حفظ القرآن حتى يبلغ بالصبي الختم ، فلم يكن هذا العمل من اتجاه قادة الفكر ، أو من رغبة المعلم نفسه ، بل هو اتجاه الجمهور وتيار المجتمع . وقد بلغ من فرح الآباء بحفظ أبناءهم القرآن ، أنهم كانوا يدفعون فوق أجر المعلم ، أجراً آخر للختم احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة .

ولم يتمتع المسلمون عن تعليم الحساب ، وأجاز القابسى تعليم الحساب ، ولا يكن أولياء أمور الصبيان لم يطالبوا بتعليم أبنائهم الحساب بل وضعوا نصب أعينهم شيئاً واحداً هو أن يحفظ أبنائهم القرآن فى حياة النبي كان التعليم نادراً فى الجزيرة العربية ، وفى الفرس والشام ومصر نفسها . وكان عدد الذين يعرفون الكتابة والقراءة قليلاً جداً ، ثم بدأت الكتابة تنتشر بإتجاه النبي وتشجيعه . ثم ظهرت الكتابات فكانت مظهراً للحياة الاجتماعية عند المسلمين . ثم احتاج الناس الى تنظيم العلاقة بين المعلم والصبي ، بما يتفق مع الشريعة الإسلامية المطبقة فى العالم الإسلامى ، فأدلى الفقهاء بأحكام الشرعية التى تفصل فيما قد يفتشأ من نزاع بين المعلم وآباء الصبيان على الأجر ،

وما قد يصيب الصبي من اضرار إذا وقع المعلم العقاب عليه . والفقهاء هم المختصون بالتشريع في المسائل الجزئية التي لم يردفها نص في القرآن واجتمع كثير من هذه الاحكام على مر الأيام ، جمعها ولخصها وضمها في كتاب واحد أبو الحسن القابسي ، الذي ألف رسالته في نهاية القرن الرابع . وبذلك تمثل هذه الرسالة أحوال التعليم في ذلك القرن وتمثل التطور الذي حدث في هذا الفن منذ صدر الاسلام حتى ذلك الوقت ، لأن القابسي نفسه تتبع ذلك التطور في أبحاثه ، كما يتضح لنا من النظر في رسالته . وقد لحق تعليم الصبيان في المكتاتيب بعد القرن الرابع كثير من التغيير ، لم يكن في سبيل التقدم بل في سبيل الجمود . وأهم المظاهر التي استحدثت على المكتاتيب هي اعتماد أكثرها على اوقاف الموسرين .

وفيما عدا ذلك بقي المنهج ثابتا وهو تعليم القرآن والكتابة . وبقيت الألواح في أيدي الصبيان للكتابة فيها ، وبقيت العصا أداة التأديب في يدهم .

والخلاصة أن تفسير حالة التعليم في عصر من العصور يقتضى النظر إلى آراء المربين ، وصلة آرائهم بالمذاهب العقلية التي يعتنقونها كما يقتضى النظر إلى حالة المجتمع الذي تفرع عنه التعليم كظهر من

الحياة العقلية .

فيذا طبقنا هذين المبدأين على الغرض من التعليم كما جاء عند القابسي باعتبار أن الغرض من التعليم هو النقطة التي تلتقي عندها جميع شئون التربية ، ومنها تتفرع أحواله المختلفة ، فانما نجد أن القابسي كان يقصد إلى غرض ديني ، وكذلك كان المجتمع يريد . لهذا اقتصر التعليم في الكتاب على القرآن والسكينة في الغالب .

وعند الأستاذ عباس محمود العقاد في مقاله : التعليم عند العرب ، أن التعليم عند عرب الجاهلية كان يجري على سنة الفطرة الأولى ، وهي أن يتلقى الأبناء عن الآباء ما يحتاجون إليه من الصناعات والمعارف سواء في معيشة المجتمع أو في المعيشة البيتية . فكانوا يتعلمون الفروسية و التمشط عليه من ركوب الخيل والمصارعة واستعمال السلاح وبعض الألعاب الرياضية ، ويضيفون إلى العلم بالفروسية علما آخر بشئون الثقافة التي كانت ميسرة في ذلك الزمان ، وهي تتلخص في رواية الأخبار وحفظ الأشعار والدراية بالانساب والأمثال ، مع طرف من العلم بالنجوم والأنواء ودلالات الطريق . ومن سرورات القوم من أن يصحب أبنائه في قوافل التجارة حين يبلغون أشدهم ويتهياون للاستقلال بالمعاملات التجارية وتصرف الأموال ، ولا يندر في هذه الحال أن يعلموهم الكتابة والحساب .

أما الأعمال البيتية كالفسج وعلاج الألبان وصنيع الخبز والطعام
ونصب الخيام فما كان منها من عمل الرجال أو النساء تعلمه الأطفال
على السواء في أحضان الأسرة على ذلك الأسلوب القطري . وكان
معوهم في تعلمه على المشاهدة والتدرب والمحاولة المتكررة ، كما يتعلم
صبيان الصناعات في قرى الريف إلى هذه الأيام .

ولما عرفوا حياة المدن درجوا على عادة تنم على الحصافة وبعد
النظر في تقويم أبدان الناشئة وخلاتها واستدامة الصلة بين روح
البدانة وروح الحضارة العربية ، وهي ارسال الأبناء في سن الطفولة
إلى الصحراء ليتعودوا فيها مقاومة العناصر الجوية ومزاولة الصعاب
ويتحرزوا بهذا الحرز الطبيعي من ترف المدنية ووباله على النفوس
والأجساد ، وطراً بعد ذلك سبب آخر المثابرة على هذه العادة إلى
ما بعد أيام الجاهلية ، وهو تصحيح اللسان من المعجمة واللعن واستحياء
خلائق المروءة العربية في الجيل الذي فارق الجزيرة إلى الأمصار
القضية بعد الفتح . ولم ينس أول خليفة أقام ملكه في الشام أن يرسل
أبنه إلى باديتها ليتربى فيها على هذه السنة العربية العريقة ، فذئباً يزيد
بن معاوية مع أمه ميسون بنت بحدل الكلبية في صحراء بني كلب ،
وأخذ من الصحراء خير ما كان فيه ، وهو الفصاحة وحب الصيد
ورعاية الحيوان .

وكان للعرب صناعات خاصة . كالشعر والكهانة والطب والعيافة والدلالة يتعلمونها كذلك على أسلوب النقل والتلقين . فالشاعر يتبعه الرواية ويحفظ عنه شعره وشعر غيره ثم ينظم هو الشعر حين يقدر على نظمه . والكاهن والأطباء والعيافون والأدلاء يصحبون أبناءهم وذويهم ليدر بومهم ويزودوهم بأسرارهم . ويتركوهم من بعدهم خلفاء لهم على ذلك الميراث .

وربما اجتمع تعليم الحرب والآداب في أستاذ واحد كما يؤخذ من هذين البيتين .

اعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رمانى
وكم علمته نظم القوافى فلما قال قافية هجاني
أوربما تعلم الولد في أحضان الأسرة كل هذا أو معظم هذا كما يؤخذ من هذين البيتين :

وربيته حتى اذا ما تركته أبا الحرب واستغنى عن المسح شاربه
تعمد حتى ظالما لوى يدي لوى يده الله الذى هو غالبه
ولم تزل هذه هى طريقة التدريب والتفشئة في الصحراء من أزمان الجاهلية الى الزمن الحديث .

ثم اتسمت الحضارة العربية في الآفاق ، وقصرت تلك الأساليب الفطرية عن الوفاء بحاجة الدولة الى المتعلمين والعمال الصالحين فنشأت

صناعة التعليم ووجدت في المدن والقرى طوائف المعلمين المنقطعين
لهذه الصناعة . وهم درجات يمكن أن نحصرها في درجتين اثنتين :
أولاهما : تعليم الأطفال الى السن التي يحفظون فيها القرآن كله
أو بعضه . ويلعبون فيها بقواعد الكتابة والحساب . وكان ذلك
موكولا الى أناس من الحفاظ يتوسطون بين مرتبة الأميين ومرتبته
المثقفين . ولا يحسبون منهم في كثير من الأحوال .

ويرتقى الطالب من هذه المرتبة الى ما فوقها . وهي مرتبة التوسع
في التحصيل أو مرتبة التخصص والاستقصاء . وينشدها الطالب في
حلقات الدرس العامة وأكثرها في المساجد التي يجلس فيها الأساتذة
لإلقاء دروسهم على كل من يحضرها . ويواصل حضورها على
اختلاف موضوعاتها من فقه ولغة وأدب ومنطق وطبيعيات ورياضيات
وقد كانت دروس الرياضيات والمنطق أيضا مما يلقى في مساجد العبادة
صدرا من بداية الدولة الإسلامية . ثم عكف طلابها على بيوت
أساتذتها أو على المدارس التي كانت تتمتع للدرس دون العبادة ، ولا
سيما المدارس المقصورة على تخرج الأطباء .

ولا شك أن هذا البرنامج التعليمي ، الغام قد صاحبه الدولة
العربية الى العهد الأخير الذي أدركناه . ولا تزال بقايا مشهودة
في مصر وفي غيرها من البلاد الإسلامية . فلم تزل الحلقات والمسابك

المعروفة عندنا باسم « الكتائب » ، هي أما كن التعليم التي يؤمها
الكبار والصغار منذ أوائل الدولة العربية الى عهد قريب .

لكن الحلقات والمكاتب لم تستأثر بالتعليم كله في عصور الدولة
العربية ولا سيما عصورها الذهبية ، وإنما كانت هي مثابة « التعليم العام » ،
المباح لكل من يحضره ويواصل حضوره ، ووراء ذلك تعليم لا يباح
لكل طالب ، ولا يحضره غير أهله في رأى أساتذته القادرين عليه
وهذا التعليم المضمون به على غير أهله قسيمان : قسم يتصل بحكمة الدين
وقسم يتصل بالحكمة على الاطلاق ، أو قسم المتصوفة وعلماء الكلام
وقسم الفلاسفة وعلماء الطبيعيات والرياضيات .

فالغزالي ، وهو قدوة الأساتذة الأولين ، يرى أن يقصر العلم في
مسائل الكلام العويصة على صفوة المتعلمين الأظهرار درجات بعد
درجات ، أو كما قال في كتابه إجماع العوام عن علم الكلام : « فقد
خلق الناس اشتاتا متفاوتين كمعادن الذهب والفضة وسائر الجواهر
فانظر الى تفاوتها وتباعد ما بينها صورة ولونا وخاصة ونفاسة ،
فكذلك القلوب معادن لسائر جواهر المعارف ، فبعضها معدن النبوة
والولاية ومعرفة الله تعالى ، وبعضها معدن الشهوات الهيمية والاخلاق
الشیطانية . . . » .

والغالب في المتصوفة أنهم كانوا يتمتعون قدرة المريد على الوصول

بما يثبده من معرفة « السر الأعظم » الذي يتوق اليه جميع الباحثين
 عن الحقيقة . فما دام مقصده منه قوة التسلط أو القدرة على تسخير
 العناصر المادية والاتيان بالخوارق فهو بعيد من مرتبة الوصول ، فإذا
 أنست نفسه الى سعادة المعرفة لغير مأرب من هذه المآرب الجسدية
 واكتفى من البحث بأن يعرف ليعرف . وأن يخلص الى الحقيقة
 ليسعد بالخلوص اليها . فهو قد استغنى عن القيادة الروحية وبلغ الغاية
 التي لا يفاجأ فيها بانكار تلك المطالب أو انكار السعى اليها ويومئذ
 لا يسوءه أن يعلم كما علم الغزالي « إن الخلائق وإن اتسعت معرفتهم
 وغزر عليهم فإذا أضيف ذلك الى علم الله سبحانه وتعالى فما أرتوا من
 العلم إلا قليلا . . . »

وحجر الغزالي على التعليم بهذه القيود لا يحسب من الحجر الديني
 على العقول كما وهم بعض المتأخرين . لأن مذهبه في ذلك مذهب
 العارفين بعقول الناس من قديم الزمن وفي طليعتهم سقراط أستاذ
 أفلاطون ومن بعده أرسطو وسائر حكام اليونان فقد كان سقراط
 ينكر الكتاب لأنه علم مفتوح لمن يدرك ولا يدرك . ويؤثر التعليم
 بالاختصاص والانتقاء والاستبراء . ولم يكن بين الغزالي وفلاسفة
 الاسلام فرق يذكر في جوهر هذا المذهب . لأن اولئك الفلاسفة
 كانوا يدينون بقصر العلم على أهله وتخصيصه بما هو قادر عليه ونحسبهم

على صواب فيما اعتقدوه من « إجماع العوام » ، عن هذا المقام ، ولو كانت هناك وسيلة تمييز العامى الذى سيظل عامياً طول حياته لوجب أن يمتنع العلم عن العوام ولا يسمح لهم منه إلا بما هم مضطرون إليه قادرون على فهمه ، لكن المحذور فى هذه المسألة آت من صعوبة التمييز بين العامى بحكم البيئة والعامى بحكم الطبيعة التى لا تقبل التبدل ، ورب رجل من سواد الناس يفتح له باب العلم فلا يقف فيه دون أقصى الغايات .

وإذا كان الغزالى قدوة الأساتذة الأولين ، وهم المتصوفة وعلماء الكلام ، فلعل الفارابى هو قدوة الأساتذة الآخرين ، وهم الفلاسفة وعلماء الطبيعيات والرياضيات ، وهو كالغزالى فى تحريمه العلم الرفيع على سفلة الناس ، وقد خطر له أن أرسطو كان يعتمد « الاغماض » ، اعتماداً لثلاثة أغراض ، وهى استبراء طبيعة المتعلم هل يصلح للتعليم أو لا يصلح ، وأن تبذل الفلسفة لمن يستحقها لا لجميع الناس ، وأن يروض الفكر بالتعب فى الطلب .

وقد استوجب الفارابى على طالب العلم الرفيع أو الحكمة الخالصة دروساً عددها « فيما ينبغي أن يقدم قبل تعلم الفلسفة ، ومنها الهندسة والطبائع والمنطق ورياضة النفس على حب الحق والأنفة من الشهوات ومتى استعد بهذه العدة تمهياً له أن يبلغ » الغاية التى يقصد إليها فى تعلم

الفلسفة . وهى معرفة الخالق تعالى وأنه واحد غير متحرك وأنه العلة الفاعلة لجميع الأشياء . وأنه المرتب لهذا العالم بجوده وحكمه وعدله وأما الأعمال التى يعملها الفيلسوف فهى التشبه بالخالق بمقدار طاقة الانسان .

ولسنا نستوعب « برنامج التعليم » كله عند العرب بما قدمناه على وجه الاجمال .

ففى هذا البرنامج المطلق برنامج « مخصوص » لأنه مقيد بمطالب القصور والبيوتات من أعلى تلك المطالب إلى أدناها ، وأقرب ما تشبهه به فى عصرنا الحاضر هو « الدرس الخصوصى » الذى يستأثر به العلية ومن هم منهم فى حكم الحاشية والأعوان .

ويدخل فى هذا البرنامج تعليم الملوك والأمراء والكبراء ، وهو فن من التعليم له شروط ومؤهلات جمع زبدتها شهاب الدين بن محمد ابن أبى الربيع فى الكتاب الذى ألفه للخليفة المعتصم بالله باسم « سلوك المالك فى تدبير الممالك » وجاء فيه بما ينبغى أن يتعلمه الرئيس لسياسة نفسه وسياسة الشرفاء والرعية والعبيد ، وقسم العمل على ثلاثة أنحاء وهى : « سياسة الانسان نفسه وبدنه ، أى سيرته فى نفسه بالأعمال الصالحة . وسياسة المنزل أى سيرته مع أهله وماله وولده وعبيده . وسياسة أهل نوعه أى سيرته التى لا يستغنى عنها مادام حيا . . . » ثم

أحصى فيه الصفات التي تطلب في الوزير مثلاً ، وهي : « العلم بالدين وحسن العقل والحلم وحلاوة اللسان وبلاغة القلم وكرم الأخلاق وسهولة الحجاب واعتقاد الخير والصلاح وقلة اللهو وكتبان السر وصحة الجسم وجودة التفكير . . . »

وقد كثر عدد المعلمين الذين يستجيبون مطالب القصور والبيوتات من أعلامها إلى أدناها ، فكان منهم من يعلمون الجوارى والوصفاء ويخرجونهم في فنون الأدب والموسيقى والمحاضرة وتربية الأبناء ، ويغالون بأثمانهم على قدر حظهم من العلم والتدريب . وكان منهم معلمو الصناعات البيتية والدقائق الفنية التي لا ترام في غير القصور والبيوتات .

وأهم من هؤلاء جميعاً أولئك المعلمون الذين يستدعون لتخرج أبناء السراة في كل ضرب من ضروب المعرفة التي تكمل بها مروءة الشرفاء ، وكان هؤلاء المعلمين فن يشبه فن التربية الحديثة والنظم « البداجوجية » فيما يساس به الطفل وما يباح له وما يحرم عليه وما يشجع به على التعلم ويبسط له بعد إيجاز أو يفصل له بعد اقتضاب . ويبدولنا أن ما كتب ، كان لهذا الطراز من المعلمين « الخصوصيين » لأن طبقة المعلمين في المكناب الشعبية لم ترتفع إلى هذا المقام من التخير والاصطفاء ، ولأن العلماء أصحاب الحلقات لم يكن من شأنهم تعليم الصبيان

مهمة التعليم الجامعى

وقد نشرنا فى مجلة الرسالة فى عام ١٩٤١ مقالا عن مهمة التعليم الجامعى بمناسبة انشاء جامعة فاروق الاول فى الاسكندرية جاء فيه ما يلى :

لعل من أمارات التوفيق أن يتاح لمصر إنشاء جامعة جديدة شاملة مختلف الكليات ، وهى جامعة فاروق الاول فى الاسكندرية التى ستفتتح فى العام الدراسى الجامعى القريب . فقد حقق هذا أمنية طالما جاشت فى الصدور ، وسيكون من علائم التوفيق أيضا أن يتاح لأبناء الصعيد جامعة فى عاصمته ، اسيوط ، ، وأن تتوالى بعدئذ الجامعات فتصبح مصر موطننا صادقا للثقافة فى الشرق الأوسط ، وتستعيد مصر حضارتها العلمية القديمة ؛ حيث تخرج الاساتذة للعالم الشرقى الغربى وان شئت للعالم كله .

غير ان انشاء الجامعات لا يحقق وحده هذه الامانى . متى كان

الأمر مقصوداً على الصور والهياكل والأشكال . كما أن إنشاء البرلمانات وإقامة الدساتير ذات المواد الكثيرة ، لا يحقق بذاته المعنى النيابي التمثيلي المنشود ، مهما تتألف هذه البرلمانات من مجالس الشيوخ والنواب ، بما تضمنه من مكاتب ولجان . ومهما يكن للنواب من الحق في تقديم الأسئلة وتوجيه الاستجوابات وحق طرح الثقة ، مادام أن النواب لم يستطيعوا أو لا يستطيعون بالفعل : لأعمال الدستور ، أن يسقطوا الوزارات ، بل إن من الوزارات ما يستطيع أن يسقط المجالس النيابية ، ويلغى الدساتير ، ويستبيح كل ما حرمة

(*)

ليس من شك في أن كل أمة تشغل بالعرض عن الجوهر ، ويصرفها الشكل عن الموضوع — لن تظفر بما تبتغي من الأغراض إذ أن هذه الأغراض مستظل أمنية وخيالاً بديعاً وجمالاً جذاباً من أجل هذا ، نرجو أن يتاح لجامعة الاسكندرية مالم تتجهه الملايسات لجامعة القاهرة . فإن هذه الجامعة لاتزال جامعة شعبية أو في حقيقةها مجمّعا من المدارس العالية ، غايتها عقد امتحانات وتوزيع شهادات ، وانصراف حملها بعدئذ إلى الوظيفة .

لم يتهأ لجامعة القاهرة إلى اليوم أن ينصرف أساتذتها وطلبتها إلى البحث العلمي كغاية أولى للجامعة . ذلك أن نشأة الجامعة الأولى

بجمع المدارس العالية التي كانت قائمة يومئذ تحت اسم الجامعة والوقت السياسي . والتيار الحزبي الذي قامت فيه الجامعة . وفترة التحول من السيطرة الأجنبية على التعليم إلى الحكم التعليمي الوطني . وتشبع الكثرين من رجال الجامعة وطلبتها بالطموح السياسي . والحفاوة بالأعمال الإدارية التي تغطي على القائمين بها لونا من الجاه الحكومي كل هذا قد صرف الأذهان كثيراً عن التجرد للبحث العلمي دون سواء من الغايات المادية والسياسية

وحسبنا أن نشير إلى ذلك العدد الكبير من رجال الجامعة الذين غادروا مقاعد التدريس إلى مناصب الدولة الأخرى . وتطلع من خلفهم إلى هذه المناصب ذاتها

فإذا استطاعت الجامعة الوليدة . جامعة الاسكندرية الجديدة أن تحقق المعنى الجامعي : بأن يقف أساتذتها وطلبتها جهم على المساهمة في البحوث العلمية . وأن يشاركوا في الجهود الذي تقوم به الجامعات الأخرى . حققنا الغاية من انشاء الجامعة . على أن ندع لجامعة القاهرة مهمتها الشعبية من حيث تخريج حملة شهادات للتوظيف . تاركين للزمان أن يهيئ لها تحولا صادقا إلى المعنى الجامعي الحقيقي

كان المعنى الجامعي متحققاً في الأزهر في أشد الأزمات التي نزلت به . ذلك أنه كان هناك شيوخ وطلبة تجردوا عن المادة والجاه . للعلم

الأزهري ، يدرسه في الأزهر والمسجد والدار وعلى قارعة الطريق
وفي الأفراح والمآتم : كان الشيخ يتحدث إلى الناس في كل مكان
جاءه عليه شائعاً لا يبغي من وراء ذلك جزاء أو شكراً . أما إذا كان
شيوخ الأزهر لم يوفقوا يوماً مثلاً إلى المساهمة العامة في للبحث العلمي الإنساني
فإن مرجع هذا إلى الأحوال السياسية وفساد الحكم والحكام وعدم
التفجيع .

فالتجرد للعلم والانصراف عن المادة أو توجيهها لخدمة البحث
العلمي — هو العنصر الأولى للجامعة لكي لا تكون اسماً أو رمزاً
لا يدل على حقيقة

نريد علماء لانشغلهم بالتقليب ولا يشغلون أنفسهم بالدرجات
والرتب والأوسمة واتخاذ التدريس وسيلة إلى الجاه الحكومي على
صورة من الصور . علماء يحج الناس من مختلف البقاع للتشرف والاستماع
اليهم والمباهاة بلبائهم واتخاذ مؤلفاتهم مصانيع للاهتمام ومراجع
للاقتداء .

وعندي أن هذا سيكون ميسوراً للجامعة الاسكندرية أكثر من
جامعة القاهرة ، ذلك أن القاهرة ، حيث تتجمع فيها أندية السياسة
والصحافة والأحزاب والألقاب وألوان الجاه ، لن تفتأ تجذب إلى
جواهر رجال الجامعة والتعليم . أما الاسكندرية فهي بمنجى عن هذا

المدارس العالية على العموم على أربع كليات أو أقسام : العلوم عامة
البناء ، الميكانيكا ، والمواد الخام .

ويشتمل برنامج القسم العام للعلوم على المواد الآتية : العلوم الطبيعية
الطبيعية الفنية والعملية ، الرياضة البحتة والتطبيقية ، العلوم الاقتصادية
— وفي بعض المعاهد تزداد عليها دروس في الثقافة العامة والتاريخ
وتاريخ الفن والبيداغوجيا الخ .

ويتفرع قسم البناء الى فرعين : العمارة والتعليم الفني . ويتفرع
قسم الميكانيكا الى فرعين : الأول للسبينا والثاني للكهرباء الفنية —
وبعض هذه المعاهد يعد طلبته لامتحانات خاصة مثل بناء البواخر
والسفن (برلين) وصنع الورق والغازات .

وتدرس في قسم المواد الخام ، الكيمياء والمعادن . وفي بعض
الاحوال تدرس موضوعات خاصة . مثل الكيمياء في علاقتها بالمنسوجات
(اكس لاشايل — درسد — ستوتجارد) وصناعة الورق (اكس
لاشايل — درسد) والهيكلية (ستوتجارد — دارمستاد — برونسويك)
والكهرباء الكيميائية والكيمياء في علاقتها بالسلولوز (دارمستاد)
والزراعة (برونسويك) .

ج — مدارس الطب البيطرى
توجد في المانيا مدرستان للطب البيطرى احدهما في برلين والاخرى

مفروغاً منها . وكذلك الطفل الذي يمثل ساعى البريد ، أو أخوه
 الأكبر الذى يمثل فى لعبه آخر شريط سينمائى رآه ، يستكشف بالطريقة
 نفسها مواقف اجتماعية ، ويجرب الشعور الذى يختلج فى نفوس من
 يقفونها . وليس مثل هذا الطفل ، ولا الطفل الذى يقوم بالحفر بحاجة
 إلى أى نوع من أنواع الارغام ندفعه به الى النشاط ، والسبب فى ذلك
 أن الطفل لديه من الرغبة فى السيطرة على عالم الأشياء والناس مثل
 ما للراشد ، وهو يتأذى مثله إذا أدى به جهله الى الشعور بالنقص أو
 الوقوع فى الحيرة .

وهذه الحقائق البسيطة تكشف لرجال التربية عن طريقة التعال
 التى ينبغى اتباعها من جهة ، وعن الموضوعات التى ينبغى أن يتألف
 منها منهج الدراسة من جهة أخرى . فقد صار جلياً أن الطريقة القديمة
 التى تقضى بأن تختار المدرس موضوع الدرس ، وأن ينحصر عمل
 التلميذ فى الانصات — أو عدم الانصات فى بعض الأحيان — هذه
 الطريقة ليس من المستطاع السير عليها الا اذا تأيدت باستخدام سلطة
 المعلم . أما إذا أراد المعلم — تمشياً مع روح النظام الجديد — أن يراعى
 وجهة نظر الطفل ، فإن الاحتفاظ بملك الطريقة يصبح معتدراً .

ان الطفل يهتم اهتماماً حقيقياً ببعض المواقف المثيرة التى تعرض له
 فى العالم خارج المدرسة ، فينبغى أن يشتمل المنهج عليها . ولكن هذه

المواقف تختلف باختلاف الأطفال واختلاف بيئاتهم ، فالطفل الريفى يستخرج دودة من الأرض ، بينما الطفل المدنى يرى مضخة للحريق وإذن يجب أن تختلف المنهج لمختلف الأطفال . ولكن كيف يمكن أن نضع منهجاً مادمت لا تستطيع أن تعرف سلفاً ماهى الحوادث المفاجئة التى قد تثير اهتمام التلاميذ إلى حد يصبح لامفر معه من تناولها بالمدرسة — كزيارة « سرك » المدينة أو انهيار صف من المنازل ؟ والجواب على هذا أنه لا يتحتم وضع منهج لدراسة كهذه مقدما ، بل يكفى تسجيل ما درس بعد الفراغ من دراسته .

هذا فيما يتعلق بموضوعات الدراسة ، أما فيما يتعلق بالطريقة فالطفل يلذ له النشاط فى اللعب . وكثيراً ما يكون ميله متجهاً إلى النشاط الجسمى ، خصوصاً إذا كان اللعب متصلاً بالمواد والآلات ، لكنه بصرف النظر عن ذلك ، يندشط دائماً فى لعبه نشاطاً عقلياً . فتراه يتسائل متى يصل الجحر إلى باطن الأرض ؟ ولم ينهال الرمل فى داخله ؟ ولم يأخذ الجحر هذا الشكل الخاص ، ولا يأخذ شكلاً غيره ؟ . . وهكذا ينتقل من سؤال إلى سؤال دون انقطاع . أما إذا بدأت بأعطائه درسا على « الأججار » فإن هذه الأسئلة لن تتوارد على ذهنه ، بل إنه سوف يميل دراسة الأججار كما يميل دراسة التاريخ . فالطريقة الطبيعية اذن

أن تدع الطفل يجرب في مواقف حقيقية بقدر ما تسمح به الظروف ،
غرفة الدراسة ، وأن تشكل تدريساك وفقا لتطور تجاربه .
والآن لننظر كيف يمكن تنفيذ هذا عمليا . وجدت معلية حاذقة
اشتغلت بالتعليم عشر سنوات ، أن معظم تلاميذها كانوا مشتركين في
مجلة من مجلات الأطفال . وكانوا يكتبون من الاشارة اليها في أثناء
الدروس والاستعانة بحقائقها في مناقشاتهم ، كما كانوا يقرءون فيها سرائر
أوقات الدراسة . وكان من الواضح أنه ما دامت هذه المجلة مركز
اهتمام الأطفال ، فقد وجب أن تكون مركزا لنشاط الفصل ؛ ولذلك
أفسحت المعلية المجال لدراستها في الحصص ، وصارت تضع للأطفال
أسئلة عما فيها ، وتطالبهم بأن يبينوا لها مزاياها والخطأ المتبعة في
تحريرها ، ومن هنا نشأت فكرة تحرير صحيفة للفصل ، ولكن كل
طفل فضل أن يحرر لنفسه صحيفة خاصة ، وأصر على ذلك .
ودارت مناقشة الفصل وقتما حول الناحية التي يرغب كل طفل في
أن تكون بارزة في صحيفته . فمثلا رأيت « دوروثي » أنها تجيد الكتابة
حول مباريات الفصول في كرة الشبكة ؛ وقالت « ايلين » انها متخصصة
هكذا من صحيفتها الأسبوع الطفل ، أما « فيرا » فقد قالت ان في حديقته
منزلها وردة للرياح ، وانها لذلك سكتب عن مجموعة أخبار الجو . وقد
أعجبت هذه الكرة سائر الأطفال ، فشرعت جماعة منهم في عمل مقياس

هذا هو العمل الذي ينبغي ان يكون عليه المعلم في توجيه تلاميذه .

للمطر ووردة للرياح واعداد خريطة لتسجيل حالة الجو عليها ، حتى
يمكن إبلاغ ذلك الى جميع الصحف . ولم يقتصر كل طفل على التحرير
في صحيفته الخاصة ، بل صاروا يكتبون لصحف غيرهم . ويأخذون
على ذلك أجورا حددت فئاتها ، وكانت هذه الأجور وغيرها من
النفقات تقيد في دفاتر خاصة . فتدرب بذلك كل طفل على أعمال
الحسابات وامساك الدفاتر وعمل بيانات الإيراد والمصروف . وقد
كانت كتابة الصحف في أول الأمر سيئة . فأشير على الأطفال
باستخدام نوع من أجود من الأقلام . ثم تدربوا على الكتابة
بالحروف المنفصلة (script) وأعقبت ذلك دراسة الاعلانات العادية
والمصورة ، وقد فاجأت « دورين » الفصل يوما بتأليف قصيدة . ومنذ
ذلك الحين تدفق سيل الشعر . ودرس الأطفال الأوزان والقوافي
لتحسين شعرهم .

وقد ابتكرت « دوريس » في صحيفتها فكرة « الرسائل الى المحرر »
وبدأتها بخطاب قوى هذا مطلعته : « سيدتي العزيزة : اني لأرجو أن
تعنى بالنظر في مسألة الواجبات المنزلية . . . » وتبعته ذلك « فيرا »
بخطاب تسأل فيه عن نصائح في التجميل . وتلا ذلك فتح أبواب
جديدة لنقد الكتب . وفلاحة البساتين . وملاحظات عن الطبيعة
والحوادث السياسية الجارية . وقد تعافيت هذه الأبواب في سرعة .

وأدى « أسبوع الطفل » الذى نفذته « إلين » الى مراجعة كل كتب
الصحة التى فى مكتبة الفصل .

وعلى مر الأيام طرأت أسئلة أخرى . اذ وجدت المعلمة يوما ما
قشرة رقيقة من الخشب فى نسيج ورقة صحيفة من الصحف فدفعهم
هذا الى البحث عن كيفية صنع الورق ومن أين يجيء ؟ وبدءوا بدراسة
صناعة الورق فى كندا . فاندفع جماعات منهم الى الكتب لدراسة عدد
من المسائل التى شغلت كل تفكيرهم . مثل : كيف يعيش قطاع الخشب ؟
وكيف ينقل الخشب بعد قطعة ؟ وكيف يسير العمل فى مصانع نشره ؟
وماهى البلاد الأخرى التى يوجد بها ؟ . . .

وقد دى ذلك الى سؤال آخر . هو : كيف كان الناس
يكتبون الرسائل قبل صناعة الورق ؟ وهكذا انتقل الفصل خطوات
عديدة فى ثنايا التاريخ . فدرست مجموعات من التلاميذ الطرق الفطرية
لكتابة الرسائل وأعدت مكتبة فى ركن من الغرفة تحتوى على ما فى
منازلهم من الكتب والصور . ودونت مذكرات . وصنعت نماذج
لكل شكل من أشكال الكتابة القديمة على المواد الملائمة له . وبعد
ذلك أعطيت نتيجة هذا الاستقصاء للفصل على صورة محاضرات قصيرة
وكانت الخطوة التالية دراسة نظام البريد ووسائل المواصلات الحديثة
ولم تكن المواصلات الدولية بعيدة عن البحث .

إن المحافظين على القديم منا لن يسعهم إلا أن يتسامحوا بإزاء هذا كله : هل تتسع هذه الطريقة لاعطاء الطفل معلومات في التاريخ أو الجغرافيا وإن لم يكن في المواقف التي يلقاها في بيئته ما يدفعه الى البحث عنها ؟ والجواب أن هذا ممكن ، وإنى أشوق الأمثلة الآتية على (١) إمكانه : فقد رأيت في الأسابيع الأخيرة فصلا مكونا من بنات في سن الثانية عشرة يدرسن سجلات مدينة لندن في سني الوباء والحريق وذلك نتيجة لشغفهن بمذكرات «مستريبيس» « Mr Pepys » ورغبتهم في عمل يوميات مشابهة ليومياته . كما رأيت جماعة أخرى في التاسعة من العمل مشغولة بعمل نموذج من الخشب والورق المقوى لشارع في القرون الوسطى . بمنازلة وما فيه من وسائل النقل ، وقد وضعت فيه نماذج تمثل الناس في أزياء ذلك العصر ، وكل ذلك كان منقولاً في دقة تامة من الصور . وإنى لا أذكر كذلك فصلا يتألف من تلاميذ في الحادية عشرة من عمرهم صنعوا في العام الماضي نموذجاً لنظام الري في حقول هندي . كما أنه عرضت على حديثاً خريطة للعالم صنعها تلاميذ فصل ما من الخشب ، ودلوا على أما كن الموانئ الجوية والبحرية الرئيسية فيها بمصاييح صغيرة تضاء بالكهرباء .

هذه أمثلة قليلة ، جادت على بها ذاكرتي ، من كثير من وجود النشاط التي تنصب على المواد الدراسية مباشرة . وإنى لا أشك في أن

الاهتمام بها بدأ في أول الأمر بإيحاء من المعلمة ، ومع ذلك فقد تقبلها الاطفال في رضى وحفاوة فأثار تنفيذها نشاطهم من الناحيتين العقلية والجسمية . وقد سمح لهم بأن يقوموا بتجارب على المواد اللازمة لتحقيق أغراضهم ، كما أن التنفيذ أتاح لهم الفرصة كي يدرسوا ويكتبوا ويتحدثوا ويرسموا الخطط منقسمين جماعات متعاونة . وما كانوا يدركون قط إذا كان عملهم يعد درساً في اللغة الانجليزية أم في التاريخ أم الجغرافيا ، ذلك أن النشاط أزال الحواجز بين المواد في عقل الطفل فلم يعد يرى إلا أن كل عمل من أعمال الفصل كان خطوة معقولة في سبيل إتمام مشروعهم ، وكان له في ذهنه معنى ، لأن له غرضاً .



لقد أثبت علم النفس الحديث -- وأيدته تجارب المعلمين في ذلك -- أن بالاطفال حاجة نفسية لأن يتعلموا ، وأن التعليم بالنسبة للطفل لا يخرج عن كونه طريقة خاصة تمكنه من السيطرة على بيئته . فلماذا إذن نجد من الاطفال من يأبون أن يتعلموا ؟ يرجع ذلك أولاً إلى أن الحقائق التي كنا نريد أن يتعلمها الطفل في الماضي لم يكن لها اتصال ظاهر ببيئته ، ومن ثم لم يكن يرى فيها وسيلة للسيطرة في أية صورة من صورها . ثم يرجع إلى أن التعليم الجمعي (في فصول يتراوح عدد تلاميذها بين الثلاثين والخمسين) لم يكن بالنسبة للتلاميذ الذين

لم يوهبوا سرعة الفهم سبيلا إلى القوة . بل كان أداة تبعث في نفوسهم شعوراً مفزعاً بالعجز والضعف . كانت عملية التعلم أشبه بالكابوس . يشغل صدورهم لعجزهم عن التقدم ، وكانت في النهاية ، لقلة ما يلاقونه من عناية فردية . تسلمهم إلى الجهل والانحراف .

ولقد عرض في الشهر الماضي أربعة أولاد من هذا الطراز كانوا في العاشرة من العمر . ولكنهم لم يكونوا يستطيعون قراءة سطر واحد . وقد بلغ اليأس من أحدهم أن قال لي : « إنك لا تستطيعين أن تعلمي كل الناس القراءة أيتها الآنسة » فافقته على ذلك في أول الأمر . وكان اثنان منهم ممن عرضت حالاتهم على المحاكم ، وولد أحدهم من المشغوفين بسباق الخيل . وكانوا جميعاً يعيشون في أحياء كلها بؤس وشقاء .

قلت لهم ان القراءة مفيدة في المراهنة على خيل . وإن الحوادث الماثرة لا تسجل إلا في الصحف . فتعجلى في نظرتهم إلى عندئذ احترام لم أحظه من قبل . وانتهى بنا الأمر إلى أن نشغل بجد مدة عشرين دقيقة . تعلم فيها كل منهم قراءة فقرة صغيرة من كتاب . وكان ثلاثة منهم يتلون معظم ما يقولونه من الذاكرة . ولكنهم كانوا يحسبون أنهم يظالعون . وفي نهاية هذه المدة كدت لا أعرف أولئك الصغار لفرط ما بدا عليهم من تغير . وحين خاطبني أشد الأربعة بؤساً قاتلاً :

هذا غريب ! يظهر أن تعلم القراءة يدخل السعادة الى نفس الانسان متى شعرت أن الفوز قد تم ، وأن التقدم أصبح محققا . ويرجع التغيير الذي طرأ عليهم إلى أنهم قد خصوا بالعناية الفردية مدة عشرين دقيقة ، وأن مطالبتهم ببذل شيء من المجهود قد بنيت على سبب يفهمونه ، وأخيراً — وهذا أهم الأسباب — إلى أنهم قد أدركوا بعض النجاح وشعروا بلذته ، ولم يكن لدى شك في أن كل هذا ستكون له نتيجة .

إن المعلمين قد أخذوا يكسبون خبرة في تنظيم أعمالهم على صورة تسمح بتفرغهم للعناية بالافراد والجماعات الصغيرة من تلاميذهم ، وذلك سائر بقية التلاميذ ليدرسوا بأنفسهم . وهذه الطريقة لا يتم نجاحها إلا إذا صغرت النصول ، وخفت الأعمال الإضافية التي تستغرق كثيرا من جهد المعلم ووقته ، بالاستغناء عما يمكن الاستغناء عنه من الأعمال الكتابية مثلا .

التنظيم والاعتماد على المادى

من الواضح أن أساليب كالتى بسطناها ستقلب جداول الدراسة المألوفة رأسا على عقب . ولكن الجدول أيضا يجب أن يخضع لأحداث

المعلومات عن العمليات العقلية ، فما من طفل مشغول بأقامة مشروع صغير يرضى أن يلقي آلاته بعد مضي أربعين دقيقة من بدء العمل ، ومن الصعب أن تخرج الأطفال من غرفة الدراسة للتمسح في مثل هذه الحالة . كذلك قد يقوم الأطفال بدراسات في الجغرافيا والتاريخ ومشاهد الطبيعة في وقت واحد ، في فصل واحد ، وفي مشروع واحد وعلى هذا لا يمكن فصل بعض هذه المواد عن بعض . على أن اليوم المدرسي يجب أن يتناوله بالرغم من هذا ، شيء من التقسيم ، إذ أن تهيئة الطفل لأنواع النشاط المغرية في الفصل ، وللحياة الاجتماعية المستقبلية يتطلب تدريبه على بعض العمليات الخاصة ، حتى يتقنها ويصير قادراً على القيام بها بطريقة آلية . ومن ذلك العمليات الحسابية . والقراءة . والكتابة ، فهذه المواد لا بد أن يفرد لها وقت خاص في الجدول . كما أن المواد التي لا تجد لها مكاناً في أنواع النشاط التي يقوم بها الأطفال في وقت معين ، يجب أن تخصص لها من آن لآخر بعض الحصص حتى يكون المنهج متزاناً . كذلك يحتاج الطفل الى ممارسة الرياضة البدنية والموسيقى والقراءة التي يقصد منها الى التسلية . عدا ذلك ، فإن الجدول ينبغي أن يحتوي على فترات طويلة تخصص لأنواع النشاط وتختلف تسميتها باختلاف أذواق المدرسين . وإني أعرف مدرسا أسماها حصص الكشف ، وقد يكون الكشف تاريخيا . أو جغرافيا

أو طبعياً ، أو مجرد تنفيذ لفكرة نشأت من اقتراحات الأطفال وأخذوا يسبرون غورها حتى يصلوا منها الى القرار .
ومن المسائل التي نواجهها إذا أردنا الأخذ بأساليب التربية الحديثة ضرورة توافر الفضاء في غرف الدراسة وتزويدها بما يلزمها من الخامات والأدوات . وكل فصل يجب أن يكون حجرة للأشغال . فلا يجدي كثيراً أن يكون في المدرسة حجرة واحدة للأشغال أو النشاط . وينبغي أن يكون لكل طفل كرسي ونضد يمكن زحزحتهما في سرعة عند الحاجة ، لايجاد الفضاء الكافي للتمثيل . كما أن الأثاث يجب أن يكون متحركاً حتى يستطيع جماعة من الأطفال أن يقتربوا بعضهم من بعض للمناقشة . ويجب أن يكون بالفصل مائدة لعرض ما تم أو مقارب التمام من أعمال التلاميذ . كما يلزم أن يكون به مخزن للخامات والأدوات إني أقول « يجب » و « يلزم » ولكن المعلمين في الواقع يأتون بالمعجزات من غير أن يتوافر لهم شيء من هذا . متى تحلوا بالصبر والأناة . والحقيقة أنه ما من شيء تتوقف عليه هذه المشروعات ويتعذر السير فيها من غيره متى وجدت جماعة من الأطفال وقدر من فضلات المواد الأولية ومعلم له وجهة نظر خاصة . أما أخطر الأشياء عليها — على الأقل مع أطفال لم يتجاوزوا العاشرة — فهم المعلمون الاختصاصيون الذين لا يعلم كل منهم الامادة واحدة . فالتخصص في

التعليم يجب ألا يكون له وجود الى هذه السن . بل الى ما بعد ذلك
وان هذا الأمر على جانب كبير من الأهمية .

ومن المسائل الأخرى مسألة الكتب المدرسية للأطفال . فمهد
الكتب القديمة التي تحتوى على استعراض عام لمادة معينة قد انقضى .
ولم يعد من المرغوب فيه أن يجمع كل ما يحتاج اليه فصل معين من مادة
التاريخ أو الجغرافيا في كتاب واحد . ان أمانى الآن مجموعة من
رسائل صغيرة مكتوبة بخط اليد . وهى من عمل زميلة أعدتها للاستعمال
فى الدراسة ولم تطبعها بعد . انها صغيرة . وموضحة برسوم حقيقية
وان يتجاوز ثمن الواحدة منها بعد طبعها تسعة بذسات أو شلنا . وهى
لفصل يدرس الحياة الاجتماعية فى القرون الوسطى . ومن الاطفال
فيه العاشرة . أما عنوانات الرسائل فهى :

١ — الحروف فى المدينة ٢ — الحرف فى الريف ٣ — منازل
القرون الوسطى ٤ — الأزياء ٥ — الطعام والولائم ٦ — الموالد
وحنلات الاستعراض .

وبعد فمن الواضح أن كثيرا من المشكلات التى كشف عنها علم
النفس الحديث لم نورد هنا فتعلم الفن والأدب والإنشاء
لا يتكارى مثلا قد تقدمت كثيرا فى السنين العشر الأخيرة . وقد

اتخذنا موقفاً جديداً بإزاء بعض المسائل الشائكة مثل تعليم النحو والمحاذة . ونتجت عن ذلك تعديلات في طرق التعليم لا تحصى .

ثم إن كثيراً من التغييرات التي أشرنا إليها لا تزال في بدايتها ، ولكن النزعة التجريبية في التعليم قد حلت في كل مكان وستكون لنا من نتائجها موضوعات شائكة للدراسة في المستقبل .

التعليم الجامعي في ألمانيا

من المميزات العامة للتعليم الجامعي والعالي في ألمانيا أن هذا النوع من التعليم أعلى درجات الدراسة ويعطى في المدارس العليا . وتخصص هذه المعاهد في دراسة العلم البحت والفنون الجميلة وفي الحصول على المعلومات الفنية . وهي تعد الطلبة للعمل المستقبلي في العلم والفن أو لمزاولة أية مهنة . وتعترف الجامعات والمدارس الكبرى بمبدأ حرية اختيار المواد وكيفية دراستها ، والطلبة الألمان (والأجانب) سواء كانوا من الذكور أو الإناث (الذين يحضرون الدروس في هذه المدارس العالية يتمتعون بالمزايا ويخضعون للواجبات

والقرارات الخاصة باختيار موضوع أو بتوجيه الدراسة نحو وجهة معينة
تترك للطالب نفسه : وهو يختار جامعته أو مدرسته ويغيرها كلها أراد
وهو يعمل تحت إشراف أساتذة مختلفين ويزور معاهد متعددة
للحصول على معرفة عامة في مختلف الموضوعات وليتمرن على سير
الدراسة في أنواع المدارس المختلفة وليس حضوره لهذه الدروس خاضعا
لأية رقابة .

إلا أن المدارس البيداغوجية تختلف في ذلك . فالدراسة فيها
مفتتين والبرنامج محدد .

وتختلف أساليب الدراسة العليا : فمن دروس ومحاضرات إلى
تمارين عملية ومن عمل إجمالي إلى درس شخصي . وتنتهي الدراسة
بامتحان تقدم فيه رسالة (١٥٠٠٠٠٠) أو بامتحان يمنح فيه دبلوم
(للمهندسين والمهندسين الممارسين والكيماويين والتجار الذين يدرسون
(الاقتصاد السياسي والغابات) أو بامتحانات لبعض الوظائف الحكومية
(قضاة . أساتذة في مدارس ثانوية . أطباء . صيدلاني)

١ — المعاهد المختلفة للتعليم العالي ، ٣ — الجامعات وتمثل
الجامعات أقدم نوع من أنواع معاهد التعليم العالي . والغرض منها
المساعدة في تقدم العلوم وذلك بالقيام بالأبحاث العلمية ورفع مستوى
الثقافة الفردية . وهي ترمى أيضا إلى أعداد الشبان للمهن التي تكون

فيها الثقافة العلمية ضرورية جدا أو على الأقل نافعة جدا .

وتوجد في المانيا ٢٣ جامعة موزعة كما يأتي : بروسيا — برلين .
بون . برساو . فرانكفورت . ماين . جولتسجن . جريسفالد .
ماربورج . مونستر . هال بال . كيل . كولوني . كونيجسبرج بافير —
ارلاوزن . مونخ . ورزبورج . وورتمبرج — توبنجن — ساكس
— ليبزيج — باد — فرييبورج . هيدلبرج — شورنز — يينا
هيس . جيسين — مكلنبورج — رستوك — همبورج

والقاعدة العامة ان الجامعات الالمانية تجمع كل فروع المعرفة
الانسانية في أربع كليات : الفقه . الحقوق . الفلسفة . الطب ويدرس
في كلية الفلسفة : الفلسفة . الفقه . الفاريخ . ويزاد عليها في بعض
الاحيان — علوم الرياضية والطبيعية والعلوم السياسية والاجتماعية .
وفي بعض الجامعات تختص ، بدراسة بعض المواد ، كليات خاصة هي
كليات العلوم والعلوم الاجتماعية والسياسية وهذا قبل الحرب
الانخيرة .

ب — المدارس الفنية العالية :
هذه المعاهد في المدن الآتية :
آشن ، براين ، برسلو ، هانوفر (بروسيا) ، ميونيخ ، درسدن ،
متوتجارد ، كارلسروه دارمشتاد ، وبرنسويك — وتشتمل هذه

الجل ، في الاسكندرية الهدوء والصفاء وزرقة السماء والماء — الأمر
 لذى ينشده العلماء ولا يجدونه في القاهرة الصاخبة المتقلبة الضخمة
 فعلى رجال الدولة — والأمر كما أوضحنا — أن يهيئوا لجامعة
 الاسكندرية ذلك الجو الجامعي ، وتلك البيئة العلمية الحقة ، لكي
 تستعيد مفاخر جامعة الاسكندرية القديمة .

التعليم وعلم النفس الحديث

جاء في مجلة العصر الجديد أن علم النفس الحديث مؤثر في المنهج تأثيراً
 يكاد يكون ثورياً . فقد ظهر للعلماء بعد دراسة لعب الأطفال دراسة دقيقة
 أن اللعب ليس نشاطاً عرضياً ، بل محاولة جدية من جانب الطفل
 لتفهم المواد والأشياء التي يتألف منها الكون ، ولتفهم وجوه النشاط
 التي يرى الكبار يقومون بها . فالطفل الذي يحفر جحراً في الحديقة
 يتحسس في شغف خواص الرمل والمعاول ، ويتعلم الكثير عن
 الأججار . وقد لا يكون عمله المستمر في حفر الجحور ثم إعادة ملئه
 بالرمل عملاً مضمراً في نظر الراشدين ، ولكنه مع ذلك يكشف في أثناء
 قامه بهذا العمل عن عدد من قوانين الطبيعة التي بعدها الراشد مسائل

في هانوفر . ويدرس فيهما : التشريح . الصحة . تغذية الحيوانات
والفسيولوجيا والكيمياء وعلم الحشرات والباتولوجيا ومزاولة مهنة
الطب البيطري والبحاث عن الوراثة .

د — مدارس الزراعة العليا

وتوجد في برلين وبون ويوبلسدورف (بروسيا) ووايمستفرو
(بافيا) وهوهرهين (ورتمبرج)

ه — مدارس الغابات

توجد في المانيا ٣ مدارس لدراسة الغابات اثنتان في بروسيا
والثالثة في ساكس — اهم المواد التي تدرس هي :

طبيعة الحوادث الجوية — علم المعادن — دراسة طبقات الأرض
— استغلال الغابات — علم الميكولوجيا — وتربية الاسماك .

و — مدارس المعادن : اهم المواد التي تدرس في مدرستي بروسيا
وترايبرج (ساكس) هي : علم المعادن صوغ الحديد استغلال طبقات
الأرض (معاهد لاستغلال المعادن ودراستها واستغلال البترول
وصوغ المعادن بالكهرباء وعلاقة الكيمياء بالفحم والبترول) ويوجد
أيضا معهد للبحث عن الفيفيت Vignite ملحق بمدرسة برايبرج
للمعادن وبه اقسام للكيمياء وللمعادن .

ز — مدارس التجازة العليا في المانيا : برلين كوفنيسبرج (برستاو)

نورسبرج (يافيرا) لايبزج (ساكس) وميرهاين (باد) . وتدرس فيها المواد الآتية : الاقتصاد التجارى والصناعى والاقتصاد السياسى والأحصاء والحقوق والضرائب والتأمينات وتشريع الشركات والكيمياء والجغرافيا واللغات والصحافة والفلسفة والبيداجوجيا والصحة .

ج — المدارس العليا للموسيقى (conservatoires) .
وثمة المدارس العليا للفنون الجميلة (وبها فصول دراسات عملية) فى برلين وكسليتوف ودرسد ولايبزج وميونخ وستوتجارد ووايمر ووايمبورج وديساوى . أما المدارس العليا لدراسة الموسيقى دراسة عملية فهى فى برلين وكولونيا وميونخ ولايبزج وكالسروه وستوتجارد ووايمر وتلقى دروس خاصة للأجانب كل سنة فى برلين وبوستدام .

١ — المعاهد البيداجوجية : أما الغرض من هذه المعاهد تكوين مدرسين ومدرسات للدارس الابتدائية وقد انشئت هذه المعاهد فى مقاطعات بروسيا وباد وම්بورج شيفرن . وكان عدد هذه المعاهد ١٠ ألفى منها ٨ فى أول ابريل سنة ١٩٣٢ لأسباب اقتصادية .

٢ — الإدارة

أغلب المعاهد العليا منظمات حكومية وتقوم باعبائها لا حكومة

الريخ نفسها ولكن وزارة المعارف في كل المانيا ويستثنى من ذلك بعض المعاهد .

ومع ان الجامعات والمدارس العالية خاضعة لأشراف الحكومة إلا أنها تتمتع باستقلال عظيم . ويقوم بإدارتها مدير ومجلس أعلى ينتخبه مجلس الأساتذة لمدة سنتين ، وعلى رأس كل كلية عميد يختار من بين أساتذتها . ويتألف مجلس الأساتذة من جميع أعضاء هيئة التدريس : أساتذة ذوى كراسى . مساعدى أساتذة . أساتذة شرف . محاضرين .

٣ - شروط القبول

تشتترط الجامعات والمدارس العليا ذات الصبغة العلمية للقبول بها أن يكون الطالب حاصلا على شهادة الدراسة الثانوية أو شهادة من الخارج موازية لها . والطلبة الذين لم يتموا هذه الدراسة يمكن تقييد اسمائهم في سجل القيد الصغير ، وعند ما يرغب أحد هؤلاء الطلبة التقدم إلى امتحان يجب أن يحصل على شهادة قيد قانونية وتامة . وللقبول في مدارس التجارة العليا وفي المدارس الفنية الأخرى يمكن تقديم أخرى تمنح بعد قضاء سنوات كثيرة في تمرين عمل وللقبول في إحدى مدارس الفنون الجميلة يكفي إذا لم يكن الطالب حاصلا على شهادة حكومية ، أن يقدم شهادة مناسبة تدل على كفاءته وعلى دراسته الفنية .

التعليم في بريطانيا

منذ بضعة سنوات خذلت الوزارة البريطانية في أثناء المناقشة في ميزانية وزارة المعارف ، وقد دهش الناس جميعا عندما سمعوا بأن أكترية أعضاء مجلس العموم اقترعت ضد مشروع قدمته الحكومة التي يرأسها المستر ونستون تشرشل ، حول مرتبات المدرسين والمدرسات . ويرجع السبب في هذا الخذلان إلى أن سيدة من أعضاء المجلس اقترحت مساواة مرتبات المدرسين والمدرسات ، فأقرت اقتراحها أكترية الأعضاء ، خلافا لرأى الحكومة ، ولما رأته السيدة صاحبة الاقتراح هذه النتيجة ، التي لم تكن تقصدها ، سحبت اقتراحها .

ويدلنا هذا على اهتمام البريطانيين العظيم بشؤون التعليم . وقد أصبح التعليم الثانوى هناك في جميع مراحل وأنواعه ، مجانيا لمن يصلح له ، وبلغت مخصصات التعليم رقما قياسيا . ولعل القارىء يدهش إذا رويانا له حقيقة لم نعهدها في الشرق ، وهى أن الحكومة في إنجلترا لم تتدخل في شؤون التعليم إلا عام ١٨٣٣ وكان قبل ذلك تحت إشراف لجان وهيئات أهلية لاصلة لها بالحكومة

ومعظم أعضاء هذه الهيئات ، بل الذين أسسوها من أبناء الطبقات الراقية الأغنياء ، فهؤلاء هم الذين قدموا هبات مالية طائلة لفتح المدارس . ودفع رواتب المدرسين . ونشر المعارف بين الناس . وقد قيل إن التعليم في إنجلترا بدأ بين الطبقات العليا ، ثم انتقل إلى الطبقات الوسطى وإلى عامة الشعب . ولم تؤسس الحكومة مدارس ابتدائية تابعة لها إلا في نهاية القرن التاسع عشر ، وتركت المدارس الابتدائية الأهلية (وفيها أكثر من ثلث مجموع الطلاب في المملكة) تواصل مهمتها ومنحتها مساعدات مالية وجعلت التعليم الابتدائي إجباريا ومجانيا . وبدأت في عام ١٩٠٢ في وضع نظام المدارس الأميرية الثانوية . وكان عدد الطلاب والطالبات في المدارس الثانوية كلها عند إعلان الحرب الأخيرة نحو نصف مليون ، ويكاد عدد الذكور والإناث يتعادل فيها . وبلغ ما قدمته من الهبات لتشجيع التعليم عام ١٩٣٧ — ١٠٦٨٠٠٠٠٠٠ جنيه ، مع أنها لم تقدم عام ١٨٣٣ غير ٢٠٠٠٠ جنيه . ويقوم نظام التعليم في إنجلترا ، على أساس تقسيم السلطات بين الهيئات الأهلية وبين الحكومة . وهذا التقسيم نوع من التعاون بين الدولة والشعب . وهو أقرب ما يكون إلى شركة تعمل فيها الهيئة المركزية بالتضافر مع السلطات المحلية . أي لجان التعليم في المقاطعات المنتخبة من الشعب — وهي مسؤولة أمام مجالس المقاطعات والإدارات التي

تعيينها هذه المجالس . فالحكومة المركزية تبعث باقتراحاتها إلى الهيئات المحلية ، فتنفذها أو تعدلها حسب حاجات البيئة والإقليم . ولكن المهم في الموضوع هو أن النظار والمدرسين يتمتعون بحرية واسعة النطاق في تطبيق برامج التعليم واختيار الكتب ، وتعيين المواد الدراسية . وتبجلى هذه الحرية بأوسع معانيها في الجامعات القديمة والحديثة على السواء ، فهي تتمتع باستقلال تام ، والدولة تساعدها ولا تراقبها والأساتذة والمحاضرون تعيينهم الجامعات ولا رقيب على أعمالهم غير ضمايرهم ومثلهم العليا ، بل إن لجميع المعلمين حق التعبد - ير عن آرائهم السياسية وميولهم الاجتماعية .

وقد بدأ الأغنياء والموسرون من أبناء الطبقة الراقية يقدمون إعانات للناهين من أبناء الفقراء والمتوسطين لينفقوا منها على تعليمهم الجامعي ، وتبرع كثير من هؤلاء ببناء مدارس وأجنحة خاصة في الجامعات ووقد وفقروا عقارات لهذا الغرض ، ثم تبعهم في ذلك الشركات والبيوتات المالية . وماتزال تبرعات الأغنياء والنبلاء مستمرة

ولقد فوجئ العالم بعد الحربين الأخيرتين بمشكلات خطيرة لم يكن مستعدا لها ، وخلفت هذه الحرب القاسية التي فاقت في التدمير والتقتيل كل ما سبقها من حروب في تاريخ البشرية وراها من الشرور والفاقة والعوز ما لم يكن في الحسبان ، ولذلك غنيت كثر الدول وفي

مقدمتها انجلترا والولايات المتحدة بدراسة مشكلات ما بعد الحرب. فألفت اللجان من كبار الاختصاصيين في كل فن من الفنون ، فضلا عن مباحث كثير من الهيئات المستقلة عن الحكومات ، وأخذت منذ الآن تهيم الوسائل الفعالة لمواجهة كل طارئ لكل أزمة سواء في الزراعة أو الصناعة أو التوطين ، أم في وسائل النقل ومشاكل الاقتصاد الدولية والمشاكل الاجتماعية التي قد تنشأ عن تسريح الجيوش إلى غير ذلك كتهجير ما خربته الحرب ، وتيسير القوت للمحروم ، والدواء للمريض وبالجملة محاولة جعل السلام المنشود سلاسا جديرا بما يبذل في سبيله من ضحايا ودم ودموع ، وإعطاء كل ذي حق حقه في عالم تسوده الديمقراطية الصحيحة .

ولانظن أن الاستعداد إلى مشاكل ما بعد الحرب هو مجرد كتابة التقارير والكلام الكثير ، بل إن بعض الهيئات أخذت تعمل من الآن لتنفيذ برامجها الموضوعية ، وإننا نورد لك مثلا عن مدينة لندن العظيمة التي حل بها من الدمار والآلام شيء كثير ، احتملته في صبر وجلد جدير بتلك المدينة الخالدة وشعبها القوي المتين .

فمنذ سنة ١٩٤٠ وطائرات الأعداء نذ كهادكا لا يدانيه في التخريب إلا تلك الغارات الهائلة التي قامت بها طائرات الحلفاء على مدن الأعداء وفي مقدمتها برلين .

وقد قدر عدد المباني الجديدة التي قد تحتاجها إنجلترا بعد الحرب بأربعة ملايين مبنى سيخصص لندن منها أكبر نصيب ، وسيكون الطلب شديدا على بناء المدارس والمستشفيات على الخصوص وستكون الحاجة ماسة الى الاختصاصيين في فن البناء بدلا من الاستعانة بالعمال العاديين والمهندسين وهم قلة لا يكفون لتنفيذ هذا الطلب الكبير .

ونحن ، نعلم الشيء الكثير عن التعليم في إنجلترا وعن المدرسة الانجليزية وحرية التعليم فيها وحرية التصرف في البرامج للملائمة البيئة وحاجات الزمن . ونحن نعلم أن المدارس الثانوية هناك لا تعد للجامعات فحسب بل تعد الفتى والفتاة لكل ضرب من ضروب النشاط في الحياة العملية بفضل ما تصبغ به الدراسة بالنواحي العملية المتصلة بالحياة كما هي وبفصل ما تغرس في الطلاب من صفات الاقدام والشجاعة واقتحام أى عمل شريف مهما يكن نوعه ، ولهذا لم ندهش عندما قرأنا خبر ادخال مادة البناء في التعليم العام .

أليس ذلك دليلا على مدى المرونة التي يتمتع بها التعليم في تلك البلاد ؟ لقد ظهر للقوم أنهم سيواجهون مشكلة البناء يوم تضع الحرب أوزارها ، فأخذوا يستعدون لها وأخذت الحكومة والهيئات التعليمية المحلية تنشئ المدارس لمواجهة هذه الحاجة ، وأكبر هذه المدارس هي التي أقامها مجلس مقاطعة لندن ، فغنيها دروس منظمة طول النهار

وهي قسيان : قسم خاص بالطبة الذين تتراوح أعمارهم بين ١٣ ، ١٦ سنة ، وقسم راق خاص بالكبار الذين تزيد أعمارهم على ١٦ سنة .

وفي القسم الأول يتعلم الطلاب برنامجا تعليميا ثانويا مدته ثلاث سنوات ، يشتمل على اللغة ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والحساب والهندسة والكيمياء ، والطبيعة ، والميكانيكا . والفنون الجميلة ، والرسم الفني ، ورسم المباني والانشاءات ، والرياضة البدنية ، وتنظيم الحسابات والإدارة الى غير ذلك مما يميل بالدراسة الى فن البناء .

ومتى أتم الشاب اليافع هذه الدراسة استطاع أن يلتحق بالقسم الراق حيث يتلقى الطلاب دروسا عملية تشتمل على صناعة الآجر والبناء والتجارة وملحقاتها والاحكام والتبييض والرسم والزخرفة وصناعة الخشب الميكانيكية .

وتستمر الدراسة المهنية بالقسم الراق ثلاث سنوات تؤدي بالناجح الى التوظيف في الفروع الفنية ذات الصلة بصناعة البناء ، كمهندسين المبانى ، أو ملاحظين ، أو مهندسين للشؤون الصحية

وتنظم ادارة العمل والتدريب عليه ، مادة رئيسية في القسم الراق لانها نهية الطالب الى الاستفادة الى اوسع مدى من المواد التي لديه ومراعاة الظروف والأحوال عند رسم أحد المباني .

وفي القسم الراق الآن نحو ٥٠٠ طالب ، وفي مدرسة الصغار

١٥٠ طالبا تقريبا ، أما كلية إيتون فهي من أقدم وأوسع المدارس العامة التي أُنشئت في إنجلترا ، وقد صدر الأمر بتأسيسها عام ١٤٤٠ م . في عهد الملك هنري السادس ، وتم بناؤها في العام التالي ، ووقع الاختيار على قرية إيتون لتكون مقرها لقربها من قلعة وندسور الملكية ، وقد أضيفت إليها بعض عمارات بعد ذلك . وفي سنة ١٩٠٨ افتتح الملك إدوار السابع عدة ابنية أقيمت تذكارا للضباط الذين تخرجوا منها ، وقتلوا في حرب جنوب إفريقيا .

وجرت العادة ، من بدء افتتاحها ، أن ينهى إليها الطلاب في العام الثاني عشر من أعمارهم ، ويقضون فيها ثلاث سنوات يلتحقون بعدها بإحدى الجامعات الكبرى ، وبالأخص كمبردج وأكسفورد .

ولهذه الكلية تقاليدها وعاداتها الخاصة في التربية والتعليم ، ونفقات الدراسة فيها غالية . وقد تخرج منها طلبة قاموا بأدوار خطيرة في تاريخ بلادهم العلمي والصناعي والسياسي والاجتماعي ، وأنتا نجد كثيرا من أعضاء الوزارات في بريطانيا — إذا استثنينا أعضاء حزب العمال — من خريجي هذه الكلية وزميلاتها كلية هارو .

ومع أن طلاب إيتون من أبناء الكبراء والأغنياء ، كما قلنا ، إلا أنهم لم يستنكفوا القيام بأي عمل يطلب إليهم تنفيذه ، مساعدة منهم

أيضا تسببه رؤى ، باله ٥٥٥ .

في المجهود الحربى . ومن هنا يتبين لنا أن جميع أبناء بريطانيا العظمى
على اختلاف طبقاتهم وأعمارهم ، قد ساهم كل منهم على قدر
طاقته وحسب استعداده في تعزيز الجهود التى تبذلها حكومتهم وأمتهم
لكسب هذه الحرب .

منشأة المدرسة الإسلامية

عند المرحوم الأستاذ محمود احمد باشا مدير لجنة حفظ الآثار
العربية أن فى القاهرة وبعض مدن القطر المصرى كثيرا من الجوامع
والمساجد التى لم تنشأ أصلا لأقامة الشعائر الدينية بل انشئت مدارس
لنشر العلم والثقافة . ومحو الأمية والجهل ، من هذه المساجد والجوامع
جامع السلطان حسن ، الغنى عن التعريف ، وجامع المنصور قلاوون
وهو جد السلطان حسن ، وجامع الناصر محمد بشارع بين القصرين
وجامع برقوق المجاور لجامع الناصر ، وجامع السكامل المجاور لجامع
برقوق ، فقد كانت جميعا دورا للعلم ، ومناهل للثقافة ، وإن كانت اليوم
مساجد تقام فيها الشعائر الدينية لستعماولأن منظرها العمارى الخارجى
لا يختلف فى شيء عن مظهر المساجد التى أنشئت للصلاة والعبادة

فحسب وتختلف المدارس عن المساجد اختلافا واضحا في داخلها فإن المدرسة تضم غالبا قبر منشئها على نقيض الجامع فيندر فيه ذلك .
 وإذا كان الغرض من بناء المساجد هو الصلاة والعبادة مع إلقاء بعض الدروس في رحباتها ، فإن الغرض من بناء المدرسة الإسلامية هو تدريس المذاهب الأربعة وإلى جانبها بعض العلوم الأخرى ، على أن يكون البناء صالحا لأن يؤدي فيه الطلبة والمدرسون الفرائض الدينية وكانت أمثل مدرسة إسلامية في الشرق كله لافي مصر وحدها هي جامع السلطان حسن الذي ضم بسخاء كل العناصر التي أسلفنا ذكرها أما منشأ المدارس الإسلامية فقد ذكر عنها مايلي :

حين أنشئت المدارس في الاسلام لم تكن تعرف في زمن الصحابة ولا التابعين بهذا الاسم وإنما أنشئت بعد الأربعمائة من سني الهجرة وأول من قيل عنه إنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت بها المدرسة البيهقية وبنى بها أخو السلطان محمود بن سبكتكين المدرسة السعيدية .
 وأشهر مدارس العهد القديم المدرسة النظامية ببغداد لأنها أول مدرسة تقاضى فيها الفقراء الاعانات وهي منسوبة إلى الوزير نظام الملك الطوسي وزير ملك شاه بن الب أرسلان . شرع في بنائها سنة ٤٥٧ هـ
 ١٠٦٥ م و فرغ منها سنة ٤٠٩ هـ — ١٠٦٦ م

أما مصر فأنها كانت حينئذ في أيدي الخلفاء الفاطميين الشيعة
المذهب فلم يدرس بها المذهب الشافعي الذي كان يجري تدريسه في
المدرسة النظامية فانتشر منذ ذلك العهد في بلاد العراق وخراسان
وما وراء النهر وبلاد الجزيرة وديار بكر . ولم ينتشر بمصر هو والمذهب
المالكي إلا بعد انقراض الدولة الفاطمية . ولما تولى صلاح الدين
اقتدى بالملك العادل نور الدين محمود بن زنكي الذي بنى دمشق وحلب
وغيرها مدارس الشافعية والحنفية وبنى (أى صلاح الدين) لكل
منهما مدرسة بمصر . وأول مدرسة أنشأها بديار مصر هي المدرسة
الناصرية للشافعية بجوار جامع عمرو سنة ٥٦٦ هجرية (١١٧٠ م)
وكان يومئذ متربعا في دست الوزارة ثم بنى بجوارها مدرسة للمالكية
تعرف بالمدرسة القمحية . كما بنى بالقاهرة المدرسة السيوفية ، وهي
تعرف اليوم بجامع المطهر على رأس شارع الجواهرجية للسادة الحنفية
ثم اقتدى به في بناء المدارس بمصر والشام وغيرهما من الأقطار أولاده
وأمرأؤه وحذا حذوهم كل من ملك مصر بعدهم من المماليك
ملوكا وأمرأء .

وأول مدرسة بنيت على الشكل المتعامد الشائع في جميع مدارس
المماليك هي مدرسة السلطان الملك الكامل الأيوبي المنشأة سنة ٦٢٢
هجرية (١٢٢٥ م) والتي أوقفها ممشؤها على المشتغلين بالحديث النبوي

وكانت أيضا أول دار حديثة أنشئت بمصر لهذا الغرض بين
القصرين بجوار مسجد بقوق . كذلك أقاموا اليوم دارا حديثة أخرى
بالاسكندرية أنشأها سنة ٦٧٨ هجرية (١٢٧٩ م) عبد اللطيف بن
سيف التكريتي وتعرف الآن بمسجد أبو علي

ولعل مدرسة « الأمير جمال الدين الاستدار » مثلا بساق على حال
المدونة الإسلامية . فقد كان القصران التاريخيان المعروف أحدهما
باسم القصر الكبير الشرقى . والآخر باسم القصر الصغير الغربى أشهر
عمارات القاهرة . وكانت بينهما مساحة عظيمة صالحة لاستعراض ألوف
مؤلفة من الجنود ومايزال جانب من هذه الساحة معروفا إلى اليوم
باسم « بين القصرين » بحى الجمالية وكان بين الرحاب التى تحيط بالقصر
الشرقى رحبة « باب العيد » فسيحة إلى أحد أبواب ذلك القصر وهو
باب « العيد » المشرف على تلك الرحبة التاريخية التى يشغل موضعها
الآن رقعة من الأرض ممتدة من شارع حبس الرحبة غربا إلى مسجد
مغلطاي الجمالى بقصر الشوق شرقا وعرضها يمتد من درب المبيضة شمالا
إلى بداية شارع قصر الشوق جنوبا .

ففى الطرف الشمالى للحد الغربى لهذه الرحبة . أو على الناصية الشرقية
لشارع « التيكشيه » اليوم وخط « الركن الخلق » بالأمس ، وفى يوم

السبت الخامس من جمادى الأولى سنة ٨١٩ بدأ الأمير جمال الدين
الاستدار بإنشاء هذه المدرسة حتى انتهى من عمارتها في يوم الخميس
الثالث من شهر رجب سنة ٨٢١ هجرية .

والاستدار — لقب لمن يتولى أمر أمراء السلطان أو الأمير
من إيراد وصرف . واليه يوكل أمر البيوت السلطانية وحاجياتها على
اختلاف أنواعها وخدمها . غير أن الأمير جمال الدين تمادى في
الاعتداء على سلطة الوزارة حتى حصرها كلها وصغيرها في يده
وأصبح الأمر الناهى المتصرف في رقاب العباد والأموال فاعتصب
القياس والضيق . وكان موضع مدرسته هذه قيسارية وطباق كلها
وقف فوضع يده عليها ظالماً ثم هدمها وبني المدرسة . أما لزمه من
آلات وأحجار وأخشاب ورخام فقد جمعها جمعاً وابتاعها ابتاعاً
وكان بمدرسة الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون التي
كانت بالصورة (الطرف القبلي الغربي من شارع الحجر) بقية من
شبابيك من النحاس المكففت بالذهب والفضة وأبواب مصنوعة
بالنحاس البديع المكففت ومن المصاحف والكتب ، شيء كثير
فاشتري كل هذا بستائة دينار وكانت قيمتها عشر أمثال ذلك ، ثم
نقلها إلى داره .

ومع أن تخطيط هذه المدرسة يماثل غيره من تخطيط المدارس

التي بنيت في عهدها على الأقل فان رخام وزرتها ونجاسة سقوفها
ونقوشها تشهد لمهندسيها بسلامة الذوق والكفاية الفنية والابداع
في التخطيط . أما من الوجهة الهندسية فكان على شيء من الضعف
في علم مقاومة المواد ، فقد وجدنا جدراننا بأكبر سمكا من
الاساسات التي يحملها فكان ذلك سبباً في تصدعها قبل أوانها وسقوط
مئذنتها لتصدع قاعدتها وتفكك أحجارها .

ولقد أوقف عليها كثيرا من الدور الانفاق من ريعها عليها إلا
أن هذه الأوقاف كانت كالآلات اغتصبت من الناس
اغتصابا وكان الصناع يعملون في بنائها بأبخس أجر ، وشدة عسف
فكان جزاؤه أخيرا أن قبض عليه الملك الناصر فرج بن برقوق وقتله
في جمادى الأولى سنة ٨١٢ هـ . ثم استولى على أمواله وأملاكه ، خشن
جماعة للسلطان أن يهدم هذه المدرسة ورغبوه في رخامها لجمالها . وأن
يسترد أوقافها لوفرة إيرادها فال إلى ذلك الرأي وعمل على تنفيذه
لولا أن الرئيس فتح الله كاتب السر استشع أن يهدم بيتا لله تعالى في
الصلوات الخمس . وما زال بالسلطان يرغبه في بقائها دلي شريطة أن
تنسب إليه وأن يحمي اسم جمال الدين منها حتى رضى بذلك وفوض
إلى الرئيس أمرها . فدبره أحسن تدبير ، ذلك أن موضع هذه المدرسة
كان موقوفا فاستبدل به جمال الدين أرضا من أرض الدولة بالجيزة

وحكم له قاضى القضاة جمال الدين بن العديم بصحة الاستبدال فهدم البناء
الموقوف وبني موضعه هذه المدرسة وتسلم صاحب الوقف الأرض
المستبدل بها إلى أن قتل جمال الدين وصودرت أمواله فكان مما صودر
هذه الأرض .

وهنا ادعى السلطان أن جمال الدين ابتاعها من بيت المال بغير
إذن منه فى بيعها . فافق حيتئذ شمس الدين المدنى المالكى بأن بناء هذه
المدرسة الذى أوقفه جمال الدين على الأرض التى لا يملكها بوجه
صحيح ، لا يصح . وأنه باق على ماله إلى موته ثم ندب شهود القيمة
لتقويم المدرسة فقوموها باثنى عشر ألف دينار ذهباً وحرروا محضراه
بهذا الثمن الذى دفع لأولاد جمال الدين على يد أحد القضاة الذى حرر
عقد بناءها للسلطان الذى عاد بدوره فامترد منهم هذا المبلغ ثم أشهد
على نفسه أنه أوقف أرض هذه المدرسة بعد استبدالها وحكم حاكم
حنفى بصحة الاستبدال وحكم كذلك بصحة وقف البناء الذى اشتراه

بغير ثمن وحكم بصحة الوقف أيضا . ثم طلب وقفيسة جمال الدين
ومزقها . ووجد وقفية أخرى باسمه حرم فيها أولاد جمال الدين من
فائض ريع الأعيان التى أوقفت على المدرسة وأبقى على غير ذلك من
الرواتب الخاصة بخدمها . وأرباب المناصب فيها . أما فائض ريع

الأوقاف فخص ببعضه أولاده وبقاقيه تربة أبيه الملك الظاهر برقوق
بالمجاورين أو بقرافة الممالك . قد حكم بذلك القضاة الأربعة بعد
ما كانوا قد حكموا بصحة وقفية جمال الدين ثم حكموا ببطلانها ،
ولما تم له ذلك محام من هذه المدرسة اسم جمال الدين وورثته
وكتب اسم الناصر فرج بدائر صحتها من أعلاه وعلى قناديلها وبسطها
وسقوفها . وصارت هذه المدرسة تعرف بالناصرية بعد ما كان يقال
لها الجمالية . ولم تزل على ذلك حتى قتل الناصر فرج . وقدم الأمير
(شيخ) الى القاهرة وتقلد زمام الحكم فتوصل كل من شمس الدين
محمد أخى جمال الدين وزوج ابنته الى شرف الدين العجمي استدار
الأمير (شيخ) حتى أحضر قاضى القضاة وحكم الصدر على قاضى القضاة
الحنفى برد أوقاف جمال الدين الى ورثته من غير استيفاء الشروط في
الحكم . بل تهور فيه وجازف لأسباب أخصها عناية الأمير (شيخ)
بجمال الدين الاستدار لخدمة سابقة أداها اليه ، فكانت سببا في اتهامه
بممالاته على السلطان فرج الذى قبض عليه .

كذلك سعى قاضى القضاة هذا بمساعدة زملائه حتى أعاد شمس
الدين الى مشيخة خانسكة ببيرس (التى أمام الدرب الأصفر اليوم)
وغيرها من الوظائف التى خلع منها عند ما قبض السلطان على أخيه

وهكذا استولى شمس الدين وصهره شرف الدين على مال كثير كان
قد جمع للدرسة من فائض ريعها . ثم تورطوا إلى حد أنهم أقدموا
على تافيق وقفية أخرى أثبتوا فيها أن جمال الدين اشتراط النظر على
المدرسة لأحبيه شمس الدين المذكور وذريته وشهد بذلك قوم استمالوهم
فقالوا . وقد صدق على هذه الوقفية قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي
وتبعه بقية القضاة فاستمر الحال على هذا البهتان والافك زمنا إلى أن
ثار بعض صوفية هذه المدرسة وحرر محضرا بأن النظر عليها إنما هو
لكاتب السر . فلما ثبت ذلك نزعت يد أخى جمال الدين عن التصرف
في المدرسة بتولى نظرها ناصر الدين محمد بن البارزى كاتب السر
واستمر الأمر على هذا المنوال فكانت قصة هذه المدرسة من أعجب
الأمور في تناقض القضاة وحكمهم بإبطال ما صححوه ثم حكمهم
بتصحيح ما أبطلوه ، كل ذلك ميلا مع الجاه وحرصا على بقاء رياستهم
— مستكتب شهادتهم ويسألون . . .

أثر البيئة الإسلامية

عند الأستاذ حسين يوسف موسى أن معنى قول المربين : « والبيئة القول الفصل فيما يصير إليه أمر هذه الاستعدادات والميول ، أو قولهم : « الطفل قابل لكل نقش وصورة ، ومائل الى كل ما يمال به إليه ، فهو معنى بقية الحديث الشريف « وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ، فلا بوان قادر ان على أن يغرسا في نفس طفلهما ما شاءا أن يغرسا من العقائد والميول ، وقادران على أن يطبعاه بالصورة التي يحببان أن يكون عليها . ولا شك في أن الوالدين جزء من البيئة التي هي كل ما يحيط بالمرء ويؤثر فيه تأثيرا قليلا أو كثيرا عن طريق مباشر أو غير مباشر من يوم يكون جنينا الى يوم يموت . فالكل يذكر البيئة ويعترف بأثرها العظيم فيما يصير اليه أمر الطفل ، يذكرها العلم الحديث القائم على التجارب ويذكرها الحديث الشريف المقول عفو البديهة ومن الأحاديث الشريفة التي تتفق مع النظريات التي تتعلق بالتربية قوله صلى الله عليه وسلم : تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس . فهذا الحديث تطل الوراثة برأسها منه والوراثة هي أحد العاملين القويين فيما يكون عليه الانسان في حياته ، إذ أثبت العلماء بالتجارب وبالتقصي أن الفرع يرث أصله في صفاته الخلقية والخلقية ، أو في كثير منها .

كذلك من الأحاديث الدالة على رقيع قدر النبي ﷺ في اتباعه
أمثل الطرق وأقومها في تعليمه أصحابه ، ذلك الحديث ، كان النبي
ﷺ يتخولنا بالموعظة كراهة السأمة علينا ، فالنبي ﷺ أساس
أصحابه أحسن سياسة ، واتباع في تعليمهم ما ان يزال على الزمن
جديدا ، وما ان ينفك عند العلماء قويا فكان يطرُق الحديد وهو
نحى ، ويأخذ النفوس وهى ناشطة ، ويتحين الفرص والمناسبات
لإلقاء حكمة ، من غير أن يطيل فيمل .

وأظن القارئ الكريم لا يحتاج الى القول بأن الوالدين الذين
ذكرهما الحديث الأول ، والذين يهودان أو ينصران أو يمجسان ليس
هما الوالدين حقيقة فحسب ، بل المراد بهما أيضا المربون والقوامون
على النفس . وإنما ذكر الحديث الوالدين لانهما أقرب الناس الى الطفل
والصغير به ، وهما أول من تفتتح عليهما هيناه ، وأول من يقلد .

ويأتى بعد الوالدين مباشرة دور المعلم ، وبخاصة المعلم الأولى .
فهو يتسلم الطفل رحط العود ، غرض الحداثة خالى الوفاض ، فارغ
الجمجمة الا لما لقنه فى سنه الأولى وبما رآه فى زمن الطفولة المنزلية
القصير . فالطفل أمانة بين يديه ، هو وديعة أمه وأبيه بل هو وديعة
الوطن سلمت اليه

الطفل نبت صغير، ان أحسن القيام عليه نما وأبرو آتى ثمرة كان
لمربيه فضل مشكور، وان أهمل ذلك النبت، أو ان كانت القوامة عليه
غير صالحة، أو ان كان غذاء روحه وعقله غذاء ضارا سيئا، أو ان
لم يراع المعلم في عمله إلا ولازمة، أو ان كان قدوة سيئة، ومثلا رديئا
لتلاميذه، ساءت العاقبة، وضاعت آمال كانت معقودة وقاب الغرض
الذى من أجله تفتح المدارس وتقام المعاهد. وليست مسؤولية المدرس
في كل أدوار التعليم بأقل خطورة من مسؤولية المعلم الأولى، بل قد
تفوقها. فليتيق الله المربون.

وبعد، فهذا قول الرسول ﷺ من ثلاثة عشر قرنا. قول ينطق
به رجل أمى في عصور الجهالة، وقررون الظلمة؛ ثم لم يزل تنقل به
الحقبة وتمشى به القرون، حتى تجىء الأيام مصدقة له. ويأتى العلم
الحديث والنظريات الجديدة موافقين متجددين معه، ينهض العلماء
يضعون قواعد التربية فاذا هم لا يخرجون عن هذه القاعدة التى نطق
بها ذلك الذى لم يحاسر أمام مرب، ولم يأخذ عن معلم، سبحانهك اللهم
هذا قول من لا ينطق عن الهوى، ان هو الا وحى يوحى.

أهداف التعليم العربى والبريطانى

قلنا إن أساس منهاج المدرسة الاسلامية فى الماضى هو حفظ القرآن لأن حفظه يكفل للحافظ أسلوباً أدبياً وعلماً فقهياً واجتماعياً أما المدرسة العربية الآن فتتفوق على المدرسة الأوربية وفى كثير من البلاد العربية تتخذ الدراسة البريطانية فى الكثير من النواحى مقياساً كما فى مصر والسودان والعراق وفلسطين مع بقاء النظام القديم كما فى الكويت والازهر والزيتونة فى تونس ومعهد أم درمان فى السودان . أما عند الانكليز فإن الهدف الاسمى للتعليم هو تهيئة الصغار لحياة طيبة ، من ثم أعدوا فئة من المعلمين ، يعهد اليها باعداد الصغار للمساهمة فى حياة الكبار هذا الى أن المعلمين فى البلاد البريطانية أساتذة فى فن الحياة يستطيع الاطفال أن يتلقوا عنهم أصول هذا الفن . ولما كانت الأمة البريطانية ديمقراطية بفطرتها وطبيعتها ، كان معها كافة متشربين بالمبادئ الديمقراطية فاذا ما اقتدى بهم الاطفال — كالمعتاد — شجوا على هذه المبادئ السامية .

وللمدارس الانكليزية أهداف معينة ، فهى تحرص على أن

تكون هيئات اجتماعية صغيرة تسعى لتخريج او خلق هيئات اكثر
انتظاما واسمى هدافا . وهذه الروح نسود المدارس ، العامة منها
والخاصة وسواء اكانت من رياض الاطفال او من المدارس الثانوية
ومن اهم الظواهر في رياض الاطفال عندهم ، اعداد فصول في الهواء
الطلق ، يعنى فيها بالغذاء ويمنح فيها الطفل حرية تامة في حركاته
وتصرفاته وحديثه . وتشرف على هذه الفصول مربيات قديرات .
وهذا النوع من رياض الاطفال ، يستخدم اثنا ذا الوان زاهية ،
ولعبا كثيرة متباينة متنوعة . ولا يتلقى فيه الاطفال فيما بين سنى
الخامسة والسابعة دروسا وانما يقتصر التعليم فيه على ما يزجى
من نصائح وارشادات وشرح اثناء ساعات الالعاب والرسم والاعمال
اليديوية والتمثيل . ولذا فانها تعد بحق اساسا للنظام الصحيح الذى
يعزى اليه سر النجاح وقد اخذت الكثير من البلاد العربية بهذا
النوع من مدارس رياض الاطفال وحنانهم .

وكذلك ترمى المدارس الانسكلين الى خلق هيئة اجتماعية روحية
كما انها تعد الشباب للاعتماد على النفس . فقد كانت هذه المدارس -
ولا تزال تسير فى الامة ، وتمشى مع حاجاتها المطردة المتشعبة ،
فتعد الطلاب لخير حياة حرة ، وتزودهم بالكمال الخلقى وتهيؤهم لخدمة
البلاد فى اخلاص واستقامة وصدق ، وتعودهم التضحية بالمصلحة

الخاصة في سبيل المصلحة العامة والعمل لتوفير الرفاهية للمجتمع
والخير للانسانية .

وهذا كله نلمسه اليوم في الشباب الانكليزي ، الذي امتشق الحسام
ليدافع عن الحرية والديموقراطية ولينصر الضعيف ويرد كيد المعتدى .

الاتفاق على التعليم

بينما صار التعليم في المدرسة الاسلامية يعتمد على ربح الاوقاف
المحبوسة على طلبه العلم وحفظ القرآن وخدمة المساجد ،
يعتمد التعليم الانكليزي على المساعدات والمنح الخاصة وعلى
جهود الهيئات المدنية . فما قامت رياض الاطفال والمدارس الابتدائية
والثانوية والجامعات الا على تلك الهبات والمنح والا على جهود
العلماء الروحانيين ، اذ ساهم الانكليكان والكاثوليك والملوك والامراء
والشركات والاعنياء والتجار في منح هذه المؤسسات المال الذي كان
عوننا على اقامة المدارس المختلفة في ارجاء البلاد .

وصحيح أن الحكومة والهيئات المحلية منذ عهد قريب ، قد نهضت
بمختلف تنظيم التعليم الوطن على الاسس الحديثة ، فاصبحت وزارة

المعارف ترأس ٣٢٠ هيئة محلية ، اضطرتها الى اتباع النظام الذى
وضع لتوحيد الطريقة للعمامة للتعليم ، دون تضحية بالحاجات المحلية
غير أن مدارس الاطفال والمدارس الابتدائية لاتزال تضم الى اليوم
اطفالا تتراوح اعمارهم بين الخامسة والحادية عشر ، وتتبع منهاجا
خاصا لاعداد الصغار فيما بعد هذه السن ، واذا كان عدد التلاميذ فى
ازدياد مطرد سريع ، قبل الحرب الاخيرة ، فقد عدلت سن الطالب
ترك الطالب للمدرسة ، فاصبحت الآن محدودة بسن الخامسة عشرة .
ولقد كان اتساع التعليم الثانوى فى انكلترا عظيما خلال الثلاث
والثلاثين سنة الماضية ، فبينما كانت المدارس الثانوية للبنين تضم زهاء ٨٦٠
الف طالب فى سنة ١٩٠٤ ، اصبح عدد طلابها اليوم نصف مليون تقريبا
وبينما كان عدد الطالبات فى المدارس الثانوية للبنات ١٣٣ الف طالبة
فى سنة ١٩٠٢ ، اصبح عددهن اليوم ٣٥٠ الفا ، وهذا الاتساع ، الذى
لم يقتصر على التعليم الابتدائى والثانوى ، بل امتد الى المدارس التجارية
والصناعية ، ضاعف من الفائدة ، كذلك انشأت الهيئات المحلية
وعشرات من الشركات الكبيرة مدارس للاطفال الذين تتراوح
اعمارهم بين الرابعة عشرة والسادسة عشرة ، تلقى فيها الدروس
طيلة اليوم .

ولعل اكبر دليل على مدى ما اصاب تعليم البنات من تقدم ، هذا
الاثر البارز في التطور الاجتماعى العام ، فان كثيرا من النساء قد
اكتسبن شهرة واسعة ، وبرزن في الحياة العامة سواء في النواحي
الاجتماعية ، او الادبية ، او الفنية . وما كان ذلك الا بفضل جماعة من النساء
اوقاتهن كلها للدرس وتحررن من قيود تقليد مدارس البنين ومناهجها
وعلى هذا ومع مدارس البنات الثانوية والعالية ان تصل الى مستوى
عال جدا ، وان تغدو مراكز تعليمية اكثر تنوعا وثباتا منها في
اى بلد اخر .

المعلمون

في المدرسة الاسلامية القديمة كان المعلمون من غير اجازات
وامتحانات ، وكان لكل من يأنس في نفسه القدرة على التعليم أن يصبح
معلما أما عدد المعلمين والمعلمات في انكلترا فإنه يبلغ الآن عشرات الآلاف
وهم ينظمون في هيئات خاصة في نقابات وجمعيات ، ويتخرجون في
مائة دار للمعلمين ، وفي جامعات بعضها حكومية وبعضها كنائسية ،
وتنظم لهم دورات دراسية يتلقون فيها محاضرات فيما يخص من العلوم

والفنون ، وفي مختلف الموضوعات ، حتى تتاح لهم فرص التوسع في
الاطلاع ، وتحسين طرق التدريس ، وحتى تسد الحاجة الى المعلمين
إذا ما ازداد عدد الجامعات ولقد توسعت جامعات برمنجهام
ومنشستر و ليربول وشيفيلد وبرستول وريدنج في سنة ١٩٢٦ ،
ومنحها اللورد هلدن مساعدة ضخمة كي تزداد نموا . كذلك اتسعت
الحركات التعليمية وطرق التعليم ومواد الدراسة في المدارس المختلفة .
وبينا الأمية لا تزال متفشية في البلاد العربية فانه ليس في انكلترا
أميون ، فكل فرد فيها يعرف القراءة والكتابة . ولم يحدث من قبل
أن اضطرت الأمة الانكليزية إلى أن تهتم بأسرها بمشكلة التعليم ، رغم
أن الديموقراطية الصحيحة تتطلب ذلك . فقد أخذت هذه الأمة
تطالب اليوم بمد أمد الحياة المدرسية للفرد ، وبإعداد الدور الصحية
للمدارس ، وتأليف جمعيات من الآباء والمعلمين للتعاون في العمل لخير
التلاميذ ، كما مضت تطالب بإنشاء مراكز للالعاب وتنظيم الاذاعات
المدرسية والمشاهد التعليمية التي تروق الاطفال والشباب البالغين بل
الكبار . وهذه العوامل كلها تساعد على تثقيف المجتمع عامة وتهذيبه
وقد خطت البلاد البريطانية خطوات واسعة في سعيها لتعليم
المجتمع وتعزيز الرغبة في المساهمة فيه وهذا يدعو الى إعادة النظر في
تقدير الأهداف التي ترمى اليها فلسفة التعليم . وفي تعديل التجهيزات

التعليم في سن البلوغ ، وتنظيم الصلوات بين مراحل وأنواع التعليم المختلفة ، والعمل على أن تكون الجامعات والمدارس ومختلف الطبقات ينشأت تنبت فيها الروح الوطنية ، وروح الزعامة الديموقراطية ، وقد أصبح الطلاب يميلون الى توحيد الثقافة في الجامعات ، كما صار المدرسون ينزعون الى الأقلال من الاعتماد على الامتحانات . وقد هيأت الحرب للناس المجتمعات والأما كن التي يستطيعون فيها أن يخدم بعضهم بعضا ، وأن ينشدوا المثل العليا القديمة التي انشئت من أجلها المدارس والتي تدعو الى تعظيم الخالق ومساعدة بنى الانسان . وقد فشا في المدرسة الاسلامية القديمة روح الجمود والجهل وبجانبه الديموقراطية ، تأثرا بتفشى الظلم والطغيان

الحرية في التعليم

على الرغم من أن وزارة المعارف البريطانية قد نهضت منذ أكثر من أربعين سنة ، إلا أنها لم تفتح سوى مدرسة واحدة . وهى لا تمنح بتأليف الكتب المدرسية ، ولا تقوم باستخدام المعلمين أو دفع مرتباتهم . ولكنها مع ذلك تقدر نصف نفقات التعليم ، وتشاطر الهيئات المحلية

أعباء الأبنية الجديدة ، وفي توجيه سياسة التعليم بصورة عامة . وهي تستخدم سيطرتها عن طريق المقترحات التي تنشرها على الهيئات التعليمية وقد عمدت منذ سنوات الى إصدار كتاب سمته « مقترحات المعلمين » تتوفر بين حين وآخر على تنقيحة وتعديله وإعادة طبعه ، وهذا الكتاب يؤثر بصورة غير مباشرة في جميع المناهج المدرسية . كذلك تصدر وزارة المعارف كتابا تحت عنوان « مقترحات لتخطيط بناء مدرسة ابتدائية عامة » تعمل به جميع المدارس . فضلا عن أنها تصدر كتيبات اخبارية عن وجهات مختلفة للتعليم وعن التجارب التعليمية في انكلترا وأفريقيا وراى البحار ، وعن أحدث الطرق فى التربية والتعليم والأهم من كل ذلك أن وزارة المعارف تستخدم عددا من المفتشين يحمل كل منهم لقب « مفتش صاحب الجلالة » ويعين من قبل جلالة الملك . وهؤلاء المفتشون يتنقلون بين المدارس ويتعرفون الى المعلمين ويفتشون تفقيها دقيقا ، فتسترشد الوزارة بتقاريرهم فى أعمالها وتصدر مقترحاتها على ضوءها . كذلك لدى الوزارة لجنة استشارية تدرس وتضع الخطط التعليمية النافعة . وهذه اللجنة هى التى أصدرت تقريرى « هندو » و « اسبونس » اللذين سبق أن أثرا تأثيرا عظيما فى تنظيم التعليم وتنمى الهيئات المحلية بحرية واسعة فى العمل وأن كانت مقيدة فى وضع خطة التعليم الخاصة بها وفى وضع نظمها .

التدوين وأثره في نهضة المدرسة الإسلامية

عرف العرب في الجاهلية قبل الإسلام التدوين ، ونعني به تقييد الأنباء والوقائع والمراسلات والخطب والقصائد والآثار بالكتابة والنقش على الأحجار ، ومن التدوين التأليف وتسجيل المضابط والأحكام والقرارات ، فقد كان التدوين معروفًا في اليمن والحيرة . أما بعد الإسلام وكان هناك كتبة للوحى المحمدى ، على الرقاع وسعف النخل والحجر الرقيق الأبيض والأضلاع ، واتخذت هذه صحنًا ، جمعها أبو بكر ، وكذلك كتب بعض الصحابة مثل عبد الله بن عمرو ابن العاص ، أحاديث النبي . فكان هذا أول عهد العروبة الإسلامية بالتدوين وإعداد الكتب والمؤلفات وترتيبها وتبويبها وتسهيل تناولها ، وقد تبع هذا كثرة النساخ ، الذين يدونون نسخًا كثيرة من الكتاب الواحد ، فكان النسخ هو المطبعة البدائية الأولى ، وكان النساخ هم آلة الطباعة البشرية ، ومن ثم بدأ إنشاء خزانات المكتب أى مكاتب خاصة

لإعامة (١) مثل خزانة كتب محمد بن الحسين بها كتب في النحو واللغة والأدب . وبتدوين هذه الكتب واستنساخها وجمعها واقتنائها وإيداعها خزانات وأما كن خاصة ، أصبح التعليم على أساسها وبمعاونتها - ميسورا ، فكثير المعلمون والمصنفون ومعاهد التعليم ، من ذلك أن مكة والمدينة ، كانتا مركزين لأولى المدارس الإسلامية وكان من مشهورى « الفقهاء » أى المعلمين فى مكة معاذ وعبد الله بن عباس وعبد الله ابن الزبير أما فى المدينة ، وكانت أوفر علما وتعلما وتدوينا ، فقد اشتهر عمر وعلى وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر بن الخطاب . أما فى الكوفة ، فقد اشتهر على ابن أبى طالب وعبد الله بن مسعود الذى كان من تلاميذه معلمون منهم ستة بزوا غيرهم وهم غلقمة والأسود ، ومسروق وعبيدة (٢) ؛

(١) راجع الفهرست لابن النديم ، والأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين لعبيد بن شرملة وراجع الأغاني الجراء الرابع ص ٥٢ (٢) ص ٢٦٦ - ١٨٥ فجر الإسلام أحمد أمين بك

والحارث بن قيس ، وعمرو بن شرحبيل . أما في البصرة
فأشهر المعلمين أبو موسى الأشعري وأنس بن مالك ، وبعدهم
الحسن البصري وابن سيرين

الكتب في عصر الخلفاء

عند الأستاذ المستشرق هيوبرت بيرد أنه في السنين الأولى
من الفتوح الإسلامية ، وتشيد صرح الامبراطورية العربية ،
كان العرب منصرفين الى الأُمور العسكرية والإدارية ؛ ولم
يكن لديهم متسع من الوقت للاشتغال بشئون الأدب وحتى
قبل أن يؤلف الإسلام بين قلوبهم ، ويوقظ شعورهم القومي
ولم يبد العرب إلا قليلا من الطموح الادبي ، عدا ناحية
واحدة، هي ناحية الشعر الذي تفوقوا فيه كثيرا وأنتجوا انتاجا
عظيما ، فلما طلع عليهم الاسلام بنوره الفياض خلب الدين
الجديد عقولهم وبهر أبصارهم واستوعب نشاطهم ووجدوا في
القرآن الكريم ما يغنيهم عن أى كتاب آخر، فأقبلوا عليه

يعظمونه ويتخذونه كنزاً و ذخراً ويحرصون على نسخه في عناية
تامة على رقاع الجلد وصفحات الرق الذي كان يجلب من
جنوب جزيرة العرب وكان لهم في تلك المواد ما يسد حاجتهم
إذ لم يكن عصر التسدين قد بدأ بعد ، ولم يكن لديهم أدب
مستفيض يجب تدوينه ، أو نظام حكومي متقن يدعو إلى
استخدام الوثائق والسجلات على نطاق واحد . فلما فتح العرب
مصر وجدوا صناعة الوراقة مزدهرة ، إذ كانت مصانع
البردى قائمة في الوجه البحرى منذ قديم الزمن وكانت تجارة
البردى وتصديره الى بيزنطة مزدهرة في ذلك الحين . وفي
سنة ٧٠٤ ميلادية ، فتح العرب سمرقند ، وهناك تعلموا فن
الوراقة (أى صناعة الورق) من بعض الصينيين الذين أسروهم
هناك . وعلى رغم وقوع العرب على هاتين المادتين ، منذ زمن
بعيد ، ظلت سجلات الدولة في قصر الخلافة تكتب على الرق ،
إلى القرن التاسع الميلادى ، ويحدثنا ابن النديم في كتاب
رست بأن الوثائق الرسمية سرقت من قصر الخلافة في بغداد

أيام النزاع بين الأمين والمأمون بعد موت والدهما هرون الرشيد. ويبدو أن هذه الوثائق كانت مكتوبة على الرق ، لأن اللصوص بعد أن محوا ما عليها بالماء ، مضوا يبيعونها في الأسواق كمادة للكتابة ، وكان في عملهم هذا ولا ريب خسارة للتاريخ العربي لا يستهان بها !

على أن القرن الثامن الميلادي شهد ازدهار تجارة الورق العربية وهي تجارة ذاع صيتها في الآفاق في القرون التالية. وكان أثر هذه الصناعة الجديدة عظيما جدا في داخل الامبراطورية الاسلامية ، وفي خارجها على السواء. وذلك لان الرق والبردي كانا من غلاء الاثمان ، بحيث لم يكن في وسع أحد أن يقتني المخطوطات سوى الاثرياء. أما المكتب المتخذة من الورق فقد يسرت التعليم للرجل العادي ؛ العالم والتلميذ على السواء برغم أنها كانت لا تزال غالية الثمن بطيئة النسخ ولقد وافق ادخال صناعة الورق ، بدء الحركة الاسلامية الادبية والعلمية ؛ وهي حقيقة لا يمكن المبالغة في أهميتها وكانت صناعة الورق عاملا

جوهريا في تشجيع نوعين آخرين من الصناعة هما صناعة المداد الملون وتجليد الورق الذي هو أقل صلابة من الرق . وقد كان التجليد في عهده الاول عبارة عن لوحين غليظين من الجلد الجاف المتصلب . أما صناعة دبغ الخلود فيقال إنها قد اكتشفت في الكوفة لغرض الحصول على تلك اللبونة الضرورية لتجميل التجليد وزخرفته ، ذلك الزخرف الذي حسدته عليه الدنيا بأسرها فيما بعد ويقال انهم استعملوا التمر في الدباغة .

ومهما يكن من أمر فقد بلغ تجليد الكتب الاسلامية من الجمال منزلة سامية لم يفقها شيء قط واقتصر التجليد في أول الامر على الزخارف البسيطة ومن أوائل المدن التي اشتهرت صناعة تجليد الكتب في الاسلام مدينة الطائف بالحجاز والحق أن ذلك العدد الغفير ؛ وتلك الكثرة الرائعة العجيبة في العلماء والشعراء والكتب النفيسة ، وكرماء المحسنين قد نهض بالامبراطورية الاسلامية كلها إلى درجة عالية . في التعظيم لم تكن معروفة في أية جهة أخرى من دنيا ذلك العصر فقد جرى ازدياد على

سنة انشاء المدارس ودور الكتب العامة ومنافسة بعضهم بعضا
 في هذا السبيل . حتى ليسعنا أن نقول إن الامبراطورية الإسلامية
 قد حوت بين أطرافها من الكتب أكثر مما كان في أوروبا
 بأسرها إن صح ما ذكره القدماء فيها هو اليعقوبي يحدثنا بأنه
 كان يوجد في بغداد وحدها في زمانه ، أكثر من مائة من
 حوانيت الوراقين وبائى الكتب وكان الوراق عادة يصف
 كتبه للبيع على رفوف خص (كشك) صغير يقيمه بجانب
 المسجد وكانت الكتب كلها مخطوطة باليد ولهذا كان
 الوراق يستخدم عددا من النساخين ليستعوض لما ينسخون
 بما يبيعه من الكتب كما كان هو نفسه ينسخ النفيس منها بخط
 يده . وكان ياقوت الحموى نساخا عند أحد الوراقين وياقوت
 هذا هو صاحب معجم البلدان المشهور ، الذى ظهر فى القرن
 الثالث عشر للهجرة ، وكان فى أثناء اشتغاله بالنسخ قد
 جمع كثيرا مما أودعه فيما بعد معجمه الذى خلفه للأجيال
 القادمة . فقد كان العلماء ومريدوهم من أهل الثراء ومحبي العلم

يتنافسون في جمع المخطوطات في شغف وحماسة. وقد أنشأ الخليفة المأمون دار كتب عظمى في بغداد ويقال إن الوزير صاحب ابن عباد كان يحتاج الى أربعائة جمل لنقل كتبه الخاصة .

وفي ذلك العصر أيضا ، ظهر كثير من المتظاهرين والمتعاضمين الذين كانوا يقتنون الكتب لمجرد مجاراة السنة الشائعة. وهنا نجدنا المقرئ بقصة عالم من علماء قرطبة كان يريد شراء أحد الكتب النادرة ، وإذا برجل ظل يزيد عليه في كل ثمن يعرضه ، مع أن ذلك الرجل اعترف بأنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة فلما سأله العالم عن سبب اصراره على رفع ثمن الكتاب أجابه الرجل بأنه أنشأ دارا للكتب ؛ وأنه يريد أن يجعلها أعجوبة من أعاجيب بلده ، وأن في أحد رفوفها فراغا لا يتسع إلا لمثل هذا الكتاب المحسن التجليد وأنه يريد أن يقتنيه مهما كلفه من الثمن . وقد كانت هذه الظاهرة سببا في رفع أثمان الكتب النادرة وفي تزوير توقيعات المؤلفين على بعض الكتب التي وجدت سبيلها الى السوق تحت هذا الستار المختلق

كما كان لهذا الاتجاه أثر آخر . هو أن جامعي الكتب بدأوا
يهتمون بحسن الخط أكثر من اهتمامهم بصحة النصوص ،
وخلوها من الأخطاء وذلك لأن حسن الخط كان يستهوى في
الحال أفئدة الاثرياء من غير العلماء وهؤلاء كانوا أغلبية المشتريين
وبرواج سوق الكتب زاد عدد الخطاطين المحترفين زيادة
عظمى ولا سيما في عصر المأمون وأصبح الخط صناعة يشترك
فيها العلماء والطلبة مع الوراقين والناسخين وبرع في ذلك
رجال مشهورون كخالد بن أبي الحجاج (كاتب الخليفة الوليد
ابن عبد الملك) ، وياقوت الحموي ، وابن البواب الذي اتبع
الطريقة التي أدخلها الوزير ابن مقلة في أوائل القرن العاشر
الميلادي ، ثم نقحها وزاد عليها وكساها طلاوة وحسنا ، حتى
اعترف الخلف بتفردده في الصناعة وساروا على منواله ينسجون

من الحافظة الى التقييد .

يقول العارفون المتقدمون كالذهبي وابن خلدون والمقرئ

ومن تبعهم أن قوة الحافظة العربية كان من أثرها اهمال شأن
 التقيد فقد لبث العرب بعض قرون يعتمدون على ذاكرتهم .
 ولا يستعينون بأقلامهم ، شأنهم في ذلك شأن الذكي الحافظ .
 يسمع الشيء فيلتقطه ولا ينساه لا يحتاج الى مذكر ، ولا يفتقر
 الى ضابط وثبت هذا الرأي في الأذهان ، وتناقضه الافواه .
 ومضى زمن طويل والناس يلججون به ، وإذا اشبرنجر
 Sprenger — من المشرقين الذين خدموا العربية
 والاسلام — يصفق طربا وابتهاجا حين يعثر على كتاب
 للخطيب البغدادي اسمه «تقييد العلم» (١) فقد وجد فيه شواهد
 تنفذ الرأي القديم ، وأخبارا تؤيد استخدام المسلمين لأقلامهم
 في كتابة العلم المحمولة عن نبيهم .

(١) شرعنا في طبع هذا الكتاب بمؤازرة المعهد الإفرنجي
 للدراسات الاسلامية وفي مجموعته ، وسيصدر عما قريب .
 والمقدمة التي وضعناها له تتصل ببحثنا هذا موسعة بعض
 فصوله وملخصة بعضها الآخر ،

أنشأ مقالا موسعا حول اكتشافه ؛ وتناقل المستشرقون ما وجدته ودفتر علماء العرب المعاصرون على شبيهه ما استخرج ، فكانوا بين مقتنع ومجادل : ولما صنف « كولدزيهر » Coldziher المستشرق الكبير كتابه وعنوانه « الأبحاث الإسلامية » Muhàmmadanische Studien سخر من القائلين بأن العرب امتنعوا عن الكتابة دهرًا طويلا . ولكنه بعد أن فعل ذلك ، تأمل في الأخبار التي عرضها سلفه « اشبرنجر » نقلا عن الخطيب البغدادي وغيره ، فوجدها تارة تقول بأن الرسول أجاز كتابة العلم وطورا تدعى بأنه نهى عنها وتذكر مرة أن الصحابة حضوا عليها ثم لا تلبث أن تروى كراهمتها لها وتعرض كتب بعض التابعين للعلم . ثم تذكر استنكاف بعضهم الآخر ، رأى ذلك فظن بهذه الأخبار سوءا وأراد أن يرى خلاها يد الوضع والتزوي . فتصور حزبين متناضلين اتخذوا من هذه الأخبار سلاحا يذود كل منهما به عن رأيه ويدفع خصمه فقال : ان أهل الرأي الذين اعتمدوا في وضع فروع الشريعة

على عقلمهم وأهملوا شأن حديث رسول الله - كان من حججهم أن الحديث لم يكتب دهرًا طويلًا فغابت معالمه وتشتت أمره وأبدوا رأيهم بأخبار اختلقوها تثبت أنه لم يكتب . ولم يقف خصومهم واجمين بل فعلوا فعلتهم ؛ واختلتوا الأخبار تأييدًا لقولهم فنسبوا إلى الرسول أحاديث في إباحة الكذابة عرس « كولدزير » ذلك مؤمنة متنعًا غير أنه لم يسند رأيه ببرهان بل ظنه أمرًا بديهيًا وحققًا ظاهرًا فكان للمعترض أن يسأله إذاً : لماذا أثر القول بأن الحديث دون بعد أن ثبت عنده أن الكذب دخل في أخبار التدوين وللمعترض أن يتشدد أكثر من ذاك فيقول : إن الظن بحدوث الوضع في الأخبار والوقوف عند الظن يقضى دلي التاريخ قضاء مبرماً ذلك إلى أنه لا يغنى من الحق شيئاً وما كان أولى بكولدزير - أن يكشف عن الأخبار الضعيفة فيزدرجها ، ويبين الأخبار الصحيحة فيعتمد عليها لكنه لم يفعل شيئاً من ذلك بل اعتصم بالتناقض واعتقد الوضع .

ولما أردنا أن نعوض ما فاتنا ، فنظرنا في رواية أخبار من نهى
عن الكتابة وإذا نحن لانجد أى دليل على رأيه فلم نلق بينهم
من اشتبه به نصبه للرأى بل وجدنا بين من ذكر لنا إقباله على
الكتابة وأخذه بها كثيرا ممن انتموا إلى أهل الرأى . فصيح
لدينا خطأ كولد زهر فيما أثبتوه ورواه وطافقنا نفكر فى الوجه
الذى نزيل به المناقض فنقول تارة : لعل العلماء انتظموا فى
حزبين : فحزب كره الكتابة ، وحزب أباحها ، يدفع كل
منهم الى ذلك ميوله وأهواؤه وحين نرجع الى الاخبار التى
جمعناها نجد فيها ما ينقض وجود التحزب بسائق الاختصاص
والمحبة ثم نقول طورا : لعل للبيئة والوطن ومحل إقامة العلماء
أثرا فى الاخذ بأحد الرأيين وترك الآخر ونرجع الى أخبارنا
فنرى أهل البلد الواحد مختلفين فيما بينهم . ثم نقول تارة
أخرى : لعل الصحابة هم الذين نهوا وغيرهم أباح فاذا بعض
الصحابة يديح ، وبعضهم الآخر يكره ، بل إن بعض الصحابة
يبيحون ويكرهون بعد أن نفترض كل ذلك ، فلا نقابل إلا

الفتيل يخطر ببالنا أن نوزع الاخبار على الاجيال والعصور
 التي توالى علمها تشير الى التطور وتنبئ عن الاختلاف .
 فليس عجبيا أن يتطور موقف المسلمين من الكتابة
 وتقييد العلم ، محبة وبغضا رغبة وكرها ، تساهلا واقبالا تبعا
 لاجيالهم . فيبتنع جيل منهم عن الكتابة ويتسامح جيل آخر
 ويحبذ جيل ثالث ويستذكر جيل رابع . وكل الامر أن يحدد
 الباحث هذه الاجيال وأن يميز بينها . غير أن الامر ليس من
 السهولة بحيث تصورنا ، فقد اصطدنا بتصانيف القدماء
 للأجيال وزعوها طبقات : يعددون ستا منها منذ عصر
 الرسول حتى بداية الخلافة العباسية . وهي تدل عندهم على ستة
 أجيال توالى خلال ١٤٠ سنة . ووزعنا أخبارنا على هذه
 الطبقات فلم نر بغيتنا وعدنا نتعثر بأذيال الأمل المفقود على
 أن نالم نياس وأمعنا النظر في تصنيفهم فوضح أنه إن حسن
 من جهة فقد ساء من جهة أخرى : حسنة أنه يبين تنالي
 العلماء على التصدر في حلقات الدوام تختلف طبقة منهم طبقة

فيكون من ذلك ست طبقات حتى أوائل الحكم العباسي
 أما سوؤه فهو أنه يدرج طبقتين في جبل واحد. فلئن كان حقاً أن
 نشاط العالم وتصدره بين ذويه لا يمتد أكثر من عشرين عاماً
 على ما اتفقوا عليه — فنشره له وأخذ الناس عنه ورجوعهم
 إليه يمتد حتى أربعين عاماً . والذي يهمنا في بحثنا وتصنيفنا
 للطبقات أن نحدد الجليل بمقدار ما يستطيع أن يعمل في سبيل
 العلم لا بمقدار ترأسه له ولذلك وجب علينا أن نجعل الجليل
 أربعين سنة .

يقول الأديب يوسف الدمشقي إن نتيجة بحثه في هذا
 الموضوع قد أسفرت عن تقسيم الأجيال إلى خمسة :
 ١ - عهد الرسول : وينتهي بوفاة و ٢ - عهد الخلفاء
 الراشدين : وينتهي قريبا من وفاة آخرهم علي بن أبي طالب
 سنة ٤٠ هـ و ٣ - عهد الصحابة المتأخرين ؛ والتابعين الأولين :
 وينتهي حوالي سنة ٨٠ هـ أي في أواخر عهد عبد الملك بن
 مروان و ٤ - عهد التابعين المتوسطين : وينتهي حوالي سنة

١٢٠ هـ ، في أواخر خلافة هشام بن عبد الملك و هـ عهد
التابعين المتأخرين وينتهي حوالى سنة ١٦٠ هـ ، بعد انتقال
الخلافة الى بني العباس .

أما عصر الرسول المعظم فان الاحاديث التى وردت عن
رسول الله فى الكتابة فتبيحها تارة وتكرهها تارة أخرى .
حتى إذا رفعنا منها كل ما يبدو ضعيفا بقى عندنا حديثان
صحيحان : أحدهما عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه
وسلم قال : « لا تكتبوا عنى شيئا سوى القرآن فمن كتب عنى
غير القرآن فليمحه » أما الحديث الآخر عن عبد الله بن
عمر و بن العاص فقد قال : « كنت أكتب كل شيء أسمعه من
رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه فنهتنى قريش فقالوا
إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورسول الله بشر يتكلم فى الغضب والرضى فأمسكت عن
الكتابة فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :
« اكتب فوالذى نفسى بيده ماخرج منى إلا حق » ويؤيد

الحديث الأخير الخبر الصحيح المروى عن أبي هريرة حيث يقول : ما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . أكثر حديثاً مني إلا ما كان عن عبد الله بن عمرو فإنه كان لا يكتب . وكنت لا أكتب .

تدوين الحديث والقرآن

هذان الحديثان — عن أبي سعيد وعبد الله بن عمرو يبدوان متناقضين ، مع أنهما من الأحاديث الصحيحة ، فمأشأن هذا التناقض ؟ ليس لنا إلا أن نستفيد مما قاله الخطيب وأسلافه وأن نفصل قولهم بعض التفصيل فنقول بديهي ألا يمنع الرسول كتابة حديثه مرة ، ثم يديه تارة أخرى ، إلا إذا لم يكن في الإباحة ما ينافي بالمنع . ولماذا يمنع الرسول كتابة الحديث عنه دون القرآن ؟ إن ذوى

العلم يعرفون أن الكتابة كانت قليلة في العرب آنذاك ،
 وأن من كان يكتب ، لم يكن يحسن الكتابة ، ويتقن
 التدوين ؛ بل كان يفعل ذلك متعباً مجهداً نفسه ؛ باذلاً وقتاً
 طويلاً ؛ في عدد من الأسطر يكتب عاياً ، فلا يفرغ منها
 إلا وقد أفرغ جهده معها . وإذا كان الأمر كذلك
 أفىؤثر الرسول حديثه على القرآن ؛ فيدع الصحابة يضيعون
 فراغهم به فيهماون تدوين كتاب الله ؟ ثم ألا يخشى ، إن
 كتب الحديث مع القرآن في الصحف . أن يختلط به
 ويلتبس . والقوم ليسوا من الحذاقة في الكتابة بحيث
 يفصلون بين القرآن والحديث برموز أو تصنيف أو تنسيق
 فسبب المنع إذا خشية الانكباب على الحديث دون القرآن
 وخوف التباسه به . وبعد فهل يتنا في ذلك مع إذن
 الرسول لعبد الله بن عمرو بكتابة الحديث ؟ ليس من
 تناف ؛ تتاقض إذا عرفنا أن عبد الله بن عمرو كان يحسن

الكتابة ويتقنها . فيستطيع بعد أن يفرغ من الآيات
المنزلة ، أن يكتب غيرها دون بذل جهد أو إضاعة وقت
وفي إحسانه للكتابة ضمان من أن يخلط بين القرآن
والحديث .

هذا التعليل المنطقي الواقعي لأسباب المنع وإمكان
الإباحة . يجد مصداقاً له فيما روى عن الصحابة
وبعد فمن الواجب ألا تقتصر على التعليل . بل
تتعدى ذلك إلى تحديد ما دونه عبد الله بن عمرو . وقد
ذكر الخطيب لنا ما دون في صحيفته التي كان يسميها
الصادقة ويحرص عليها حرصه على نفسه - فاذا به أدعية
وصلوات كان يجب أن يحفظها .

على أن ذلك ليس كل ما كتب عن الرسول . فقد
أملى عليه السلام كتباً في الشرائع والأحكام ؛ جهز بها
رسله وعماله في الأقطار المفتوحة ومعظمها في الصدقات

والفرائض ولفظ الإيمان ، وبالجملة لا يتعدى ما كتب عن
الرسول في عصره عشر صفحات ، في أمور يجب أن تحفظ
بنصوصها سالمة كيلا يعتورها التفسير أو التشويه . أما ما ماسوى
ذلك ، فقد نقله الصحابة عن الرسول حفظاً ، أو عملاً تعلموه
فأتقنوه ، ثم روره بعد ذلك بلفظهم وفقهم .

ذلك كان حال التدوين في عهد الرسول ؛ حتى إذا انتقلنا
إلى عصر الصحابة الأولين وهو عصر الخلفاء الراشدين ،
كانت الكلمة متفقة على كراهة تدوين الحديث سوى كتب
الرسول التي ذكرناها . بل وجدنا الصحابة يتبعون الكتب
فيحرقونها . وانا نعثر في أقوالهم على ما يفسر لنا موقفهم وموقف
الرسول معهم : هذا أبو سعيد الخدري يمتنع عن إكتاب أبي
نضرة ويقول : أتتخذون الحديث قرآناً أتجعلونه مصاحف
تقرأونها إنا لانكتبكم ولا نجعلها مصاحف . وهذا ابن عباس
يقول : إنا لانكتب في الصحف إلا الرسائل والقرآن ويبدو
صريحاً من ذلك أن الصحابة الأولين أبوا أن يجعلوا الحديث

شيئها بالقرآن : يكتب في الصحف فيشتبه بكلام الله ويضاهى به . وتضربون لنا الامثال عما جرى للامم القديمة التي كتبت الى جانب كتاب الله كتباً أخرى فضلت بها وتركت كتاب الله . وهاكم عمر بن الخطاب وقد عزم على كتب السنن . ثم وجد أن عليه ألا يلبس كتاب الله بشيء فترك كتب الحديث وأمر باحراق ما كتب الناس منه .

وفي رأى الصحابة هذا إيضاح انتهى الرسول عن الكتابة فالمؤمن الذى لا يجد متسعاً من الوقت لنسخ القرآن وكتابته ، حرى ألا يكتب الحديث حتى إذا كتبه كان كمن يقدم كلام الله وحاشاه من ذلك : وهذا وسيل الاشتباه قريب بينهما إذا كتبهما مبتدئون بمعرفة الكتابة على صحف متشابهة ولم يكن القرآن قد جمع فى المصحف أو أذيع تدوينه فيه .

موقف الصحابة الأولين صريح واضح لا التباس به . استنوا فى ذلك بهدى الرسول وأقواله وأفعاله . وإذا كان هذا الموقف صحيحاً وجب أن يتغير رأيهم إذا

بطلت أسباب منعهم . ولقد كان الأمر كذلك فهاهو ذا القرآن يجمع في المصحف بين دفتين أو في الكراريس المجلدة وهاهي ذى طبقة من العلماء تبذل نفسها لنسخه ونشره بين الناس . وهاهو ذى الصحف تفرغ منه . ويرافق ذلك انتشار الكتاب به وكثرة الذين أتقنوها . وذلك في عهد الصحابة المتأخرين بعد عصر الخلفاء الراشدين من سنة ٤٠ إلى حوالي سنة ٨٠ فهل تبدل موقف الصحابة الذين شهدوا الجيل الماضي وعاشوا إلى ما بعده ؟

لقد عدلوا عن رأيهم السابق وتغير موقفهم بتبدل الحال .

قال أبو سعيد الخدري : كنا لا نكتب إلا القرآن والتشهاد . ويدل ذلك على أنهم أصبحوا يكتبون غيرها . وهذا عبد الله بن عباس يتخذ طحفاً فيها قضاء على ويكتب تفسير القرآن بعد أن كره الكتابة ونهى عنها . كل ذلك لأن الخشية من مضاهاة العلم للقرآن والتباسه به وتقدمه عليه امتنعت

حين أصبح القرآن لا يكتب إلا بين دفتين فيحفظ فيهما وحين
كثر نساخه وبطلت كتابته بالصحف . وأى ضرر يحصل
الآن فى كتابة الحديث فى صحف ، تضع ولا تخلد خلود
المصاحف ؟ بطلت المضاهات والالتباس فجاز التدوين . أما
إذا عاد فيعود النهى . اسمعوا الضحاك يقول : « لاتتخذوا
للحديث كراريس ككراريس المصاحف . وهما كم شيئاً
وابراهيم ومجاهداً يكرهون كتابة العلم فى الكراريس إذ يصبح
العلم قرأنا ، والكراهة انما هى من ذلك . ولقد تشدد بعضهم
فأراد ألا يكون سبيل للشبه أبداً . فأحل كتابة العلم فى
الأطراف - أى على أطراف العظام فقط - كابراهيم
المنعمى فهى صعبة الحفظ والمضاهاة بينها وبين الكراريس
بعيدة وخشى بعض التابعين مما خشى منه بعض الصحابة
الأولين أى من العناية بالصحف وتنقلها والاشتغال بها عن
القرآن فمنعوا من تخليد الكتب . وكان عبيدة يمحو كتبه
ويقول أخشى أن يليها أحد من بعدى فيضعوها فى غير

واضعها . وقال لا ابراهيم : لا تخلدن عنى كتاباً . وكان طاوس
يامر باحراق الكتب ؛ وكان بعضهم يكتب الاحاديث ثم
يحوها ومنهم من ندم على ذلك .

اذا أمعنا النظر في أسماء من امتنعوا عن اكتاب الحديث
كعبد الله بن عمر و ابراهيم التيمي وجابر بن زيد وسعيد بن
المسيب و ابراهيم النخعي وعبيدة وطاوس والقاسم وغيرهم
كثير وجدناهم جميعا فقهاء ولم نلق بينهم الا من اتصف
بالفقه والافتاء . ووجدنا المحدثين جميعا يجيزون اكتاب العلم
وهناك أخبار تروى كراهم لكتابة الراى كاعتذار زيد
ابن ثابت عن أن يكتب عنه كتاب مروان فقد قال : يا مروان
عذراً انما أقول رأي . وجاء رجل الى سعيد بن المسيب
وهو من الفقهاء الذين روى امتناعهم عن الاكتاب
فسأله عن شيء فأملأه عليه ثم سأله عن رايه فأجابه فكتب
الرجل فقال رجل من جلساء سعيد : أكتب يا أبا محمد
رأيك فقال سعيد للرجل : ناو لنيها فناوله الصحيفة فخرقها .

وقيل لجابر بن زيد : انهم يكتبون رأيك قال : تكتبون
 ما عسى أن أرجع عنه غداً ؟ وكل هذه الأقوال رويت عن
 علماء حدث المؤرخون عنهم أنهم كرهوا اكتاب الناس وهي
 تدل دلالة صريحة على أن الكراهة ليست في كتابة العلم أى
 الحديث بل في كتابة الرأى وأن الاخبار التي وردت في النهى
 دون تخصيص انما قصد بها الرأى خاصة .

ومحصل القول أن كتابة الحديث أصبحت أمراً
 مباحاً في هذا العهد وأن الذين تناقلوا الحديث حفظاً لا
 يتجاوز عددهم بضعة رجال . ولم يقف الأمر عند كتابة
 الحديث فقط . بل تعداه الى وضع الكتب فقد جمع في
 هذا العصر مما انتهى اليه ذكره أكثر من سبعة كتب
 في تفسير القرآن ، وأكثر من عشرين في السنن وأكثر
 من ثلاثة في الفرائض والوصايا . على أن هذه الكتب
 ليست ككتبنا التي نعرفها إنما هي صحف متفرقة منشورة

تلف وتدرج لم تقسم على الأبواب والفصول ومجمل القول
 أن هذه الكتب أصبحت من الكثرة بحيث رويت لنا
 أخبار عن كتب فلان وفلان وبلغت كتب ابن عباس
 حمل بعير ونقلت كتب أبي قلابة إلى أيوب فأدى كراء
 نقلها بضعة عشر درهما .

ثم يقول الاستاذ يوسف العش أنه بعد الذي
 ذكرنا من انتشار الكتب في عصر التابعين الأولين لن
 ندهش . إذا رأينا الطبقة الوسطى من التابعين من سنة ٨٠
 ١٢٠ بالتقريب يكتبون العلم ويكتبونه فلا يبلغنا عنهم
 النهي عن الكتابة اللهم إلا أن يكون عن عمرو بن دينار
 ذكر عنه أنه خرج على من يكتب عنه ولكنه إنما خرج
 كتابة رأيه فقد كان يقول متذمراً : يسألوننا عن رأينا
 فنخبرهم فيكتبونه كأنه نقر في حجر .

حدث الاتفاق في عصر التابعين المتوسطين على

كتابة الحديث وإليه كتابه : ذلك أنه لم يعد من خشية على
 القرآن قط بل إن كتابة الحديث اتخذت في هذا العصر
 صفة رسمية فما كم عمر بن عبد العزيز يوعز الى أبي بكر
 بن حزم عامله في المدينة أن يكتب له حديث رسول الله
 ويتوفى قبل أن ترد السكتب التي دونها ابن حزم ويأمر
 أيضاً محمد شهاب الزهرى بأن يكتب السنن فيكتبها دفاتر
 فأرسل الى كل أرض دفترأ . وكان هذا اول تدوين رسمي
 للحديث . واقتدى خلفاء بني أمية بعمر بن عبد العزيز
 فهذا هشام بن عبد الملك يرسل كاتبين الى بن شهاب
 يلزامانه سنتين فيكتبان عنه ما يتحدث به وهذه الدفاتر
 تحمل من خزائن الوليد بن يزيد حين قتل وفيها الكثير
 من علم الزهرى وبالغ الناس في السكتب التي نقلت عن
 الزهرى حتى قيل إن الامام مالك بن أنس كتب عنه
 كتباً ملأت صناديق عديدة .

أيا كان من ذلك فالصنف قد كثرت في هذا
العصر حتى صار المحدث يسمع الى تلاميذ وهم يقرأون
الكتب عليه وهو يصححها لهم ووضعت الكتب في مواد
العلم وعددها كثير يقصر المجال عن تعدادها . على أن
هذه الكتب لم تصنف الأبواب تصنيفاً متسعاً ولا وزعت
على فصول خاصة وعناوين مفردة اللهم إلا في كتب
المغازي التي درجت الأخبار فيها على ترتيب الغزوات
بتتابع تاريخ حدوثها

وتنشأ طبقة التابعين المتأخرين في عصر مليء بالكتب
وفشت فيه الكتابة وشرع فيه بالتصنيف . نشأوا في هذا
العصر ولكنهم ما كادوا يترأسون فيه العلم حتى رأينا عدداً
كبيراً منهم يخالف نشأته ويشور على ما اعتاد عليه فيطلب
هجران الكتب وينحو باللائمة على الكتابة ويندب
زمن الصحابة الذين حرصوا على أن يحفظ العلم في

الصدور لا في السطور

الأوزاعي شيخ العلم في الشام . يندب الحالة التي
أفضى إليها العلم . فيقول . « لما صار العلم الى غير أهله » .
وهذا ابن عون البصري ينعي أثر الكتب فيقول . « هذه
الكتب ستضل الناس » . ويستشهد ابن علية البصري بحال
الصحابة . فيقول : « إنما كرهوا الكتابة لأن من كان
قبلكم اتخذوا الكتب . فأعجبوا بها . فكانوا يكرهون
أن يشتغلوا بها عن القرآن » . والحق يقال أن بعض ما
خشيه الرسول والصحابة والتابعون الأولون . وهو أن
يضاهى كتاب الله بكتاب غيره . في شكله وكثيرة
تداوله . قد وقع فعلا . فقد أقبل بعض الناس على كتابة
الحديث بالمصاحف أى بالكتب المجلدة . ولعل أول من
روى عنه شيء من ذلك خالد الكلاعي من أهل الجليل
السابق . فقد كان عليه في مصحف له أزرار وعري .

وكثرت كتابة الأحاديث وتداولها في الجيل السابق .
وغالى أهل الجيل الذى بعده فى ذلك مغالاة بعيدة .

لا عجب إذاً إن ظهر من التابعين المتأخرين من خاف
شر هذه الكتب المحدثه . لتي ضاهت كتاب الله فى
شكلها وتداولها . وأراد يبد هذه البدعة الخطيرة .
والرجوع إلى بساطة عصر الصحابة حيث كان الحفظ
يقوم مقام الكتابة . وزادهم تمسكا برايهم أن الحفظ قد
خف كثيراً . حينما اعتمد الناس على الكتب ، وساءت
الذاكرة وظهر الاضطراب فى الرواية بلا كتاب

رأى بعض التابعين المتأخرين ذلك فعمدوا منذأواخر
الجيل السابق الى الاعتصام بالحفظ وترك الكتابة فكان
سعيد بن عبد العزيز يعتز بذلك قائلاً . ما كتبت حديثاً
قط يعنى أنه كان يحفظ . وكان من لا يقدر على الحفظ
سماعاً يكتب الحديث فاذا حفظه محاه كخالد الحذاء وسيفان

الثوري وعاصم بن ضمرة وحماة بن سلمة ورويت الأخبار عنهم في التنكير على من يعتمدون على الكتاب دون الحفظ حتى قال سيفان بنس مستودع العلم القراطيس .

وإجل هذا الاختلاف هو مما دعا « كولدزير » إلى القول بأن العلماء انقسموا إلى طائفتين متخاصمتين في شأن جواز الكتابة أو عدمها على أنه لم يصب حين قال : إن من ادعى عدم جواز الكتابة هم أهل الرأي وإن مخالفهم هم من أهل الحديث فالخلاف لم يكن بين هاتين الفئتين لأن من أهل الرأي من امتنع عن الكتابة كعيسى بن يونس وحماة بن زيد وعبد الله بن إدريس وسفيان الثوري وبينهم من أقرها كعاز بن سلمة والليث بن سعد وزائدة بن قدامة ويحيى بن اليمان وغيرهم . ومن المحدثين من كره الكتابة كابن علية وهشيم بن بشير وعصم بن ضمرة وغيرهم ومنهم من أجازها كبقى السكلاعي وعكرمة

ابن عمار ومالك بن أنس وغيرهم .

مدارس الدولة العباسية

ذهب الذهبي الى أن « نظام الملك » الذي استوزر
للسلاجقة من سنة ٤٥٦ إلى سنة ٤٨٥ هـ هو أول من أنشأ
المدارس فبنى مدرسة ببغداد ومدرسة ببلخ ومدرسة
بنيسابور . ومدرسة بهراة . ومدرسة بأصبهان ومدرسة
بالبصرة . ومدرسة بمر و . ومدرسة بآمل طبرستان .
ومدرسة بالموصل . ويقال إن له في كل مدينة بالعراق
وخراسان مدرسة . وقد رد عليه بعض المؤرخين هذا
القول كالسبكي والسيوطي وغيرهما . وقالوا كانت المدرسة
البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك والمدرسة

السعدية بنيسابور الامير نصر بن سبكتكين أخو السلطان
محمود (١) الخ

وذكر المقرئى : « أن الخليفة المعتد بالله » ٢٧٩ —
٢٨٩ هـ « لما أراد بناء قصره فى الشماسية ببغداد استزاد فى
الذرع بعد أن فرغ من تقدير ما أراد فسئل عن ذلك
فذكر أنه يريد له لبنى فيه دوراً ومساكن ومقاصير يرتب
فى كل موضع رؤسا كل صناعة ومذهب من مذاهب
العلوم النظرية والعلمية ويجرى عليهم الأرزاق السنوية
ليقصد كل من اختار علماً أو صناعة رئيس ما يختاره فيأخذ
منه » . ثم قال : « إن المدارس مما حدث فى الاسلام
ولم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين وإنما
حدث عماها بعد الاربعمائة من سنى الهجرة وأول من

« ١ » ضحى الاسلام : أحمد أمين جزء ٢ ص ٤٩ وما بعدها

حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الاسلام أهل نيسابور فبنيت
 بها المدرسة البيهقية . وانما كانت هناك معاهد أخرى .
 الكتاب والجمع السكتاتيب - وقد اختلف اللغويون في
 في وضعها الأصلي ففي اللسان: « الكتاب والجمع السكتاتيب
 والمسكتب » . وقال المبرد: « المسكتب موضع التعليم
 والمسكتب موضع التعليم والمسكتب المعلم والكتاب الصبيان
 ومن جعل الموضع الكتاب فقد أخطأ » ولكن يظهر أن
 كلا من الكتاب والمسكتب استعمل في هذا العصر
 لمكان تعليم الصبيان فقد روى الاغانى عن إسحق الموصلى
 أن أباه « ابراهيم الموصلى » « اسلم الى الكتاب فمكان لا
 يتعلم شيئاً ، ولا يزال يضرب ويحبس ولا ينجع ذلك فيه
 فهرب الى الموصلى وهناك تعلم الغناء » « ١ » . وجاء في

موضع آخر : « أن علي بن جبلة لما نشأ أسلم في الكتاب « ٢ »
وروى الجاحظ في كتاب البيان والتبيين أن من أمثال
العامية « أحق من معلم كتاب » « ٣ ». وقال ابن خلكان في
ترجمة أبي مسلم الخراساني : « أنه نشأ عند عيسى بن معقل
فلما ترعرع اختلف هو ووالده إلى المكتب » (٤) وكان
ذلك في العصر الأموي بالضرورة . وبعض المكاتب كان
لتعليم مبادئ القراءة والكتابة والقرآن وبعضها كان يعلم
فيه أيضاً اللغة وما إليها . قال ابن قتيبة : « ومن المعلمين
علقمة بن أبي علقمة مولى عائشة كان يروى عنه مالك
ابن أنس : وكان له مكتب يعلم فيه العربية والنحو والعروض
ومات في خلافة أبي جعفر المنصور » (٥) . وبعض

٣ « جزء ١ / ٢٠٨

٢ « أغاني ١٨ / ١٠١

٥ « كتاب المعارف ١٨٥

٤ « ابن خلكان ١ / ٣٩٧

المعلمين كانوا يعلمون حسبة : لا يأخذون على تعليمهم
أجراً . روى ابن قتيبة : أن الضحاک بن مزاحم وعبد الله
بن الحارث كانا يعلمان ولا يأخذان أجراً « (١) » وبعضهم
كان يأخذ أجراً ومن هؤلاء من كان يأخذ خبزاً من الصبيان
وروا عن الشافعي أنه قال : « كنت يتبما في حجر أُمي
فدفعتنی فی السکتاب ولم یکن عندها ما تعطی المعلم ، فكان
المعلم قد رضى مني أن أخلفه إذا قام فلها ختمت القرآن
دخلت المسجد فكنيت اجالس العلماء : وكنيت اسمع
الحديث أو المسألة فأحفظها ولم يكن عند أُمي ما تعطيني
اشترى به قراطيس : فكنيت إذا رأيت عظماء يلوح آخذ
فأكتب فيه الخ » (٢)

وكان في السكتاب ضرب وحبس كما رأيت فيما روى

(١) كتاب المعارف ١٨٥ (٢) جامع بيان العلم ٩٨/١

الأغاني عن إبراهيم الموصلي

ومنها المسجد - وقد كان أكبر معهد للدراسة فلم
تسكن المساجد للعبادة وحدها ولسكن كانت تؤدي فيها
اعمال مختلفة فهي مكان للعبادة تقام فيه الصلاة وتخطب
الخطب وكان محكمة للتقاضي والذي يهمنا الآن انه كان
معهداً للدراسة بل أكبر معهد فكان مسجد عمرو في مصر
ومسجد البصرة ومسجد السكوفة والحرم المكي والمدني
وغيرها من المساجد تقوم مقام المدارس والجامعات في
هذا العصر

فمن مبدأ الاسلام اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد للدراسة ففي البخاري عن أبي واقد الليثي قال :
« بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد إذ
اقبل ثلاثة نفر فأقبل اثنان الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى

احدهما فرجة في الحلقة فجلس وجلس الآخر خلفهم «١» الخ
 واستمر المسجد كذلك مكانا لتعليم القرآن والحديث
 وللقصاص يعظون والفقهاء يعلمون الفقه مدة العهد الأموي
 فيذكر ابن خلسكان ان ربيعة الراي كان يجلس في مسجد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ويجلس في حلقة
 مالك ابن انس والحسن واشراف اهل المدينة ويحدقون
 به «٢» وكان مسجد البصرة مركزاً لحركة علمية كبيرة في
 العهد الأموي فحول الحسن البصري وفي حلقة نشأت
 المباحث الكلامية واعتزل واصل بن عطاء حلقة الحسن
 وكون له حلقة بل كان هناك بجانب حلقات علوم الدين
 حلقات لعلوم العربية . قال ياقوت : « كان حماد بن سلمة

«١» البخاري كتاب العلم

«٢» ابن خلسكان ١ / ٢٥٧

بن دينار يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه وينذهب
إلى أصحاب العربية يتعلم منهم» «١»

وكان الخلفاء والأمراء والأغنياء يتخذون لأولادهم معلمين
خاصين فشرقي بن القطامي «كان وافر الأدب عالما بالنسب
أقدمه أبو جعفر المنصور ليعلم ولده المهدي الأدب» (٢)
والمفضل الضبي كان يؤدب المهدي وقد جمع له المفضليات
والكسائي «كان يؤدب الأمين بن هرون الرشيد ويعلمه
الأدب» (١) «وأبو محمد يحيى بن المعيرة اليزيدي لقب اليزيدي
لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي يؤدب ولده فنسب
إليه ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدب المأمون وكان الفراء يؤدب
ولدى المأمون وكان ابن السكيت يؤدب ولد ابن طاهر وجعل
له خمسمائة درهم ثم جعلها ألفا . إلى كثير من أمثال ذلك

(١) معجم الأدباء ١٣٥/٤

(٢) ابن الأنباري ٤٢ (٣) ابن خلكان ١/٤٦٩

مجالس المناظرة : كذلك من أهم معاهد العلم مجالس
 المناظرة في الدور والقصور والمساجد وبين العلماء وفي حضرة
 الخلفاء في الفقه في النحو والصرف وفي اللغة وفي المسائل الدينية
 ويدلنا ما روى لنا على أن هذه المناظرات أزهرت في هذا
 العصر تبعاً لازدهار الشغف العلمي وطمعاً في منافع الخلفاء
 والأمراء ونيل الخطوة عندهم ورغبة في الوصول إلى الحق
 وإذا كانت أكثر المسائل العلمية لم تقرر بعد ولم تتخذ شكلاً
 ثابتاً كان مجال المناظرات فسيحاً من الناحية العلمية البحتة وإذا
 كان الخلفاء والأمراء يساهمون في الحركة العلمية ويشتركون
 في الرأي ويؤيدون بعضاً ويفندون بعضاً استعد العلماء للمناظرة
 وتسليحوا لها رغبة في الشهرة والخطوة وإذا كان الخلاف
 شديداً في المذاهب الفقهية بين أنصار الرأي وأنصار الحديث
 وكان الخلاف شديداً بين الأمصار من بصريين وكوفيين
 وحجازيين وعراقيين وشاميين ومصريين وكانت العصبية
 شديدة . روى ابن الأنباري في طبقات الأدباء « أن المأمون

أمر القراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار ووكل بها جوارى وخدماء للقيام بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ولا تشوف نفسه إلى شيء ... صير له الوراقين وألزمه الامناء والمنفقين فكان الوراقون يكتبون حتى صنف الحدود وأمر المأمون بكتبه في الخزائن فبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس « (١) »

وأن هذه المكتبة كانت تقوم بنسخ الكتب كما كان يفعل علان الشعوبى وبترجمتها إلى العربية كما كان يفعل يوحنا بن ماسويه وابن نوبخت وكان فيها رئيس للمترجمين ومساعدون كما كان لها مدير وأعوان وكما كان فيها مجلدون فيقول ابن النديم « إن ابن أبي الجريش كان يجلد في خزانة الحكمة للمأمون » (٢) وجاء في دائرة المعارف الإسلامية : « كانت أول مكتبة

(١) طبقات الأدباء ١٢٧ وانظر كذلك ص ٦٦ من

من ضحى الاسلام - ٢ - الفهرست ص ١٠

عامة هي مكتبة دار الحكمة (كذا) التي أنشأها المأمون
 (كذا) في بغداد وجمع لها الكتب اليونانية من الامبراطورية
 البيزنطية وترجمت الى العربية وكانت المكتبة تحوى كل العلوم
 التي اشتغل بها العرب — وقد ظلت إلى مجيء التتار
 سنة ٦٥٦ هـ (١) .

وقد حاكى الخلفاء والامراء، الاغنياء من العلماء والادباء
 فكانت لهم مكتبات خاصة فيقول ثعلب : « رأيت لاسحق
 الموصلى ألف جزء من لغات العرب وكلها سماعه » (٢) .
 ويقول ابن أبي أصيبعة : « كان محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر
 يكيدان كل من ذكر بالتقدم في معرفة . . فديرا على الأندى
 (الفيلسوف) حتى ضربه المتوكل ووجهها الى داره فأخذها

- (١) أنظر في هذا البحث أيضا رسالة لمراد كامل في هذا
 الموضوع ومقالة في مجلة المجمع العلمي بدمشق سنة ١٩٢٧
 (٢) ابن خلكان ٩٢/١

كتبه بأسرها وأفرد لها في خزانة سميت (الكندية) (١).

مراحل التعليم العربى الاسلامى ومنهج

يبدو أنه لم تكن هناك مراحل للتعليم معينة فليس هناك مرحلة للتعليم الاولى أو الابتدائى ومرحلة للثانوى وهكذا إنما كانت هناك مرحلة واحدة تبتدىء بالكتاب أو بالمعلمين الخاصين وتنتهى بأن تكون له حلقة فى المسجد ثم إنه كان من المتعلمين من يتم هذه المرحلة وقليل ما هم وآخرون يقفون فى نصف الطريق أو ربعه . فمن الناس من يتعلم فى المكتب حتى يقرأ ويكتب ويحفظ ما يتيسر من القرآن ويحسن أمور دينه ثم ينصرف الى عمل من صناعة أو تجارة ومنهم من يلزم الشيوخ يأخذ عنهم وينتقل من شيخ إلى شيخ بل من بلد الى بلد حتى يكتمل علمه فيحلق له حلقة .

(١) ابن أبى أصيبعة ٢٠٧/١

كما لم يكن هناك منهج خاص تيسر عليه الأمة فيكون
 الكتاب أحيانا مقتصرأ فيه على القراءة والكتابة وتعليم
 القرآن ونرى المعلمين في الكتاتيب أحيانا يعلمون اللغة
 والنحو والعروض وكل شيخ بعد ذلك له طريقته : فالفقهاء
 من أصحاب الرأي يكثرّون من تفريع المسائل وفرض
 الفروض ويبيحون الأسئلة حتى فيما يقع من الحوادث
 وأصحاب الحديث يمتنعون عن ذلك ولا يجيزونه وهكذا .
 وفي المسجد الكبير حلقات من الدروس محتفة الألوان : هذه
 حلقة فقه وبجانبها حلقة نحو وثالثة حلقة للمتعلمين ورابعة
 لإنشاد الشعر وخامسة لرواية الأخبار وسادسة للحديث
 وهكذا . والمتعلم حر أن يذهب إلى أية حلقة وإلى أي شيخ
 فاذا أتم علم شيخ انتقل إلى علم آخر أو شيخ آخر ويرجع هذا
 إلى أن التعليم حر لا تنفق الدولة عليه من مالها وليس في
 ميزانيتها شيء خاص بالتعليم إلا ما يمنحه الخلفاء والأمراء
 والأغنياء لمن اتصل بهم من العلماء وفي مقابل ذلك ليس

للدولة تدخل في وضع منهج أو مراقبة معلم إلا أن يتهم أحد
بزندقة فتدخل أحيانا . فالطلبة والعلماء يتعلمون ويعلمون
على حسابهم الخاص فقد يدفع الطالب أجرا للشيخ على
ما يتعلم منه كالذي حكى عن المبرد فقد حدث الزجاج قال :
« اشتيت النحو فازمت المبرد لتعلمه : وكان لا يعلم مجانا ولا يعلم
بأجرة إلا على قدرها فقال لي : أى شيء صناعتك ؟ قلت :
أخرط الزجاج وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم
ونصف وأريد أن تبالغ في تعليمي وأنا أعطيك كل يوم درهما
وأشترط لك كل يوم درهما وأشترط لك أن أعطيك إياه أبدا
إلى أن يفرق الدهر بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت
إليه . قال فلزمته وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيته
الدرهم فينصحنى في العلم حتى استقللت فجاءه كتاب بعض بنى
مازومة من الصراة يلتمسون معلما نحويا لأولادهم فقلت له
أسمنى لهم فأسمانى فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كل
شهر ثلاثين درهما وأزيد به بعد ذلك بما أقدر عليه » (١)

وقد يعلم المعلم ابتغاء الثواب وأكثر ما كان ذلك في العلوم الدينية كالذى حدث إبراهيم الجربى المحدث الفقيه قال : « ما أخذت على علم قط أجرا إلا مرة واحدة . فاني وقفت على بتمال فوزنت له قيراط إلا فلساً . فسألتني عن مسألة فأجبته . فقال للغلام أعطه بقيراط ولا تنقصه شيئاً . فزادني فلساً » (١) وقد يكون المعلم يتكسب من باب آخر ويعلم حسبة كأبي حنيفة . كان يرازوا ويعلم في المسجد وهكذا

كذلك كان باب التعلم مفتوحاً لكل من شاء ؛ حتى استطاع أهله أن ينفقوا عليه أو استطاع هو أن يجد ما يفتقر به . ولهذا نبغ كثير من الأدباء والعلماء من طبقات فقيرة ، كأبي العتاهية فقد كان خزافاً ، وكان أبو تمام يسقى الناس بالجرة في جامع عمرو بن العاص بمصر ، وكان أبو يوسف القاضي في صباه قصاراً ، ورن يهرب من القصار ويذهب إلى حلقة أبي حنيفة وأمثال هذا كثيرة

(١) معجم الأدباء ٤/ ١٣٥ - ص ٦٨ ضحى الاسلام

ولم تكن هناك - أيضا - درجات علمية يمنحها من أتم الدراسة
 بعد امتحان. إنما كان الامتحان امتحان الرأي المحيط به من
 علماء ومتعلمين فمن آنس من نفسه الكفاية على أن يجلس مجلس
 العلم جلس وتعرض لجدال العلماء ومناقشتهم وتجييبهم وكان في
 هذا ما يكفي لحماية العلماء من المتطفلين والجاهلين فترى واصل
 ابن عطاء يمتزل مجلس الحسن البصري لما خالفه في الرأي
 وشعر من نفسه القدرة على أن يقرر مذهبه فأنشأ له حلقة ،
 وأبو يوسف خلق حلقة فسأله سائرا عن مسألة فقهية فلم
 يعرف جوابها فعاد إلى حلقة أبي حنيفة (١) . ولهذا النظام
 عيوبه ومزاياه غير أنه كان ملائما لحالة ذلك العصر

التعليم في عهد المستنصر بالله

ليس يخفى ما كان من ازدهار العلوم في عهد الدولة العباسية ومن ثم كثرة انشاء المدارس ودور التعليم فيها. وما نذكره أنه في عهد المنتصر بالله وهو أبو جعفر المنصور بن الظاهر بأمر الله؛ قد اتفق له ما لا يتفق لغيره « ١ » من أهل الخلافة وهم أبو الظاهر المستضيء بن المستنجد بن بن المقتنى بن المستظهر بن المقتدى وكان مولده يوم

« ١ » راجع ص ٢١١ وما بعدها تحت عنوان « المستنصر بالله » كتاب خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سيرة الملوك تأليف الأزلي عبد الرحمن سنيط طبع بمطبعة القدس سنة ١٨٨٥

الاربعاء ثالث عشر صفر من سنة ثمان وثمانون وخمسمائة
 أمه أم ولد اسمها إخشولم تدرى خلافته وقد بويع بالخلافة
 يوم [توفي والده وهو الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلث
 وعشرين وستمائة وأول من بايعه أولاد انسادة الأمراء
 أبناء اخوته وأولاد عمه وذويه بمصدور مشروحة عارفين
 بحقه مقربين بفضله وكان المتولى لأخو المتولى لأخذ
 البيعة على الناس أستاذ الدار أبو نصر المبارك بن الضحاک
 وبحضور نائب الوزارة ألقى وكانا واقفين على درج المنبر
 الذى نصب تحت قبة المبايعة وكان أبيض اللون مشرباً
 حمرة مستنير البشرة واسع الصدر معتدل الخلق : نقش
 خاتمه : العفو منك أولى : وكان حسن السيرة جميل السريرة
 ذا علم وعفو وحلم يغشى السالحين ويواصل المنقطعين
 وحسن فعاله مشاهد معلوم . مسدد فى أقواله موفق فى
 أفعاله ولقد تفرد بعزيمة وقعت دونها الهمم وانزاحت بها

المظالم والظلم وانتظمت بها الأمور وانصلح بها الجمهور
وما زال الدين في أيامه باهر المطالع عامر المراتع مواظب
على الصلوات فرائضا ونفلا ويكثر من الصلاة إنعاما
وفضلا يعظم أهل الدين وينفق على أربابه ويحب أهل
الأدب ويقرب منه طلابه ومباركه دارة عليهم وصدقانه
واصله إليهم وتنبهت لهمم في أيامه وازداد المشتغلون
بالعلوم رغبة واشتغالا ووسعهم بعطاياه العظيمة كرما
وافضالا وحن على الأئمة حنو الشفيق فجبر كسرهم ونك
أسيرهم وأحسن إلى محسنهم وتجاوز عن مسيئهم فأصبح
الدين ثابت الأركان رفيع البنيان ولقد شاع من مكارم
أخلاقه ما زاد ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر فسبحان
الذي جعله سهلا في طلاقة محياه وكرم سجاياه . فأما ما
خصه الله تعالى به في نفسه من الميل إلى العلوم فانه لم
يزل من أول أمره ومبدأ عمره متشاغلا بالعلوم الدينية

والادبية منعكفاً على نقل الكتب حريصاً على ذلك
 مواظباً عليه : حسن الخط صحيح الضبط ومن محبته للعلوم
 أنشأ خزانة الكتب بشريف حضرته ومقدس سيرته جمع
 فيها من أنواع العلوم على اختلافها وتباينها وائتلافها بالاصول
 المصبوطة والخطوط المنسوبة ما جاوز حد الكثرة ثم أنشأ
 مدرسة على شاطئ دجلة وجعلها وقفاً على المذاهب الاربعة
 ليحصل بها كمال المنفعة فجاءت محكمة البناء سراجة في الماء
 فسيحة الفناء وضعها غريب وحسن ترتيبها عجيب شامخة
 الى عنان السماء . تضحك شرافاتها بالسرور ويظهر في
 أبنيتها الفرح والحبور ويلعب العز في جوانبها ويطلع السعد من
 أساسها واعاليها فهي كعبة الأنام وقبة الاسلام بجمع سائر الدين
 ومذاهب المسلمين وعلم الاصول والفروع المتفرقة فيها والمجموع
 وعلم القوافي وأحاديث الرسول ومعرفة الحلال والحرام وقسمة
 الفرائض والتركات وعلم الحساب والمساحات وعلم الطب

ومنافع الحيوان وحفظ قوام الصحة وتقويم الأبدان ، ولما
تكملت أبنيتها كسيت بأفخر الملابس وتحلت كأحسن العرائس
ورتيب لها البوايين والفراشين والخدم والطباخين وأسكن
لكل مذهب اثنين وستين من الفقهاء وجعل لهم مدارس وأربع
معيدتين (١) وأجريت لهم بها المشاهرات الوافرة وما يحتاجون
اليه من الخبز واللحم والحلوى والفواكه والبزر والصابون
وجعل فيها طبيب حاذق ماهر وأثبت عنده عشرة من الطلبة
يشتغلون عليه في لم الطب وجعل لهم الأكمال السائلة وبنيت
لهم صفة فاخرة مقابلة المدرسة يجلس فيها فيقصده المرضى
فيداويهم وبنى في حائط هذه الصفة دائرة عجيبة وصورها
صورة الفلك وجعل فيها طاقات صغارا لها أبواب كلما سقطت
بشدقة انفتح باب من أبواب الطاقات وهو بذهب نضار
مفضضا وضمت ساعة من الزمان والبندقتان من شبه يقعان
من فم بازين من ذهب طاستين من ذهب ويذهبان الى

١- المعيد هو مساعد المدرس في التعليم وقد عرفته المدرسة الإسلامية

مواضعها . وتطلع شمس من ذهب في سماء زرقاء في ذلك
 الفلك . ومع طلوع الشمس وتدور مع دوراتها وتنبئ مع
 غيورها فاذا غابت الشمس وجاء الليل فهناك أقمار طالعة من
 ضوء خلفها كلما مضت ساعة تكامل الضوء في دائرة القمر
 ثم تبدو بالدائرة الاخرى الى انقضاء الليل وطلوع الشمس
 يقول مؤلف تاريخ بنى العباس الامام العالم تاج الدين
 على بن الحسن المعروف بابن الساعى أن هذه منقبة لم يسم
 اليهما الأولون . ثم جعل فيها خزانة المكتب ونقل اليها من
 الروايات الشريفة والمكتب النفيسة والأصول المضبوطة
 المحتوية على جميع العلوم مائتين وتسعين حملا سوى ما نقل
 اليها بعد ذلك وشرط أن يكون في دار المكتب التي هي
 الخزانة ، عشرة يشتغلون بعلم الحديث النبوى ويكون لهم
 شغلان يشتغلون الطلبة بعلم الحديث النبوى ورتب عندهم شيخ
 على الأستاذ يقرأ عليه الحديث : ثم الى جانب هذه المدرسة
 دار برسم تلقين القرآن المجيد يتربى بها ثلاثون صبيا أيتاما

يتلقون القرآن من شيخ ملقن ويكون لهم معبداً يحفظهم
التلاميذ وشرط للجميع من الخبز والمشاورة والوظائف
ما تضمنه شرط الواقف رحمه الله

ثم شرط أيضاً أن يكون فيها من يشتغل بعلم العربية
وكذا من يشتغل بعلم الحساب والفرائض ثم أنشأ قدس الله
روحه من المشاهد والمساجد والربط والمفاوز والقناطر
ووسع الطرقات إلى غير ذلك من الصدقات في كل الأيام .
وأعطى الثياب والخلع والجرايات في شهر رمضان والرواتب
في سوا ذلك : وعموم هذه الأسباب العلماء والعباسيين
والعلويين والضعفاء والمساكين وتزويج الايامى والخرى إلى
اليتامى وذلك أكثر من أن يحصر

هذا وقد ورد في الجزء الثالث من كتاب التمدن
الاسلامى تأليف جورجى زيدان بك ص ٢٠٠
عنهم ان المدارس تحت فى الاسلام — أن نظام الملك
الطوسى الذى توفى مقتولا فى ٤٨٥ — ملك شاه السلجوقى

في أواسط القرن الخامس الهجرى وأسس الرباطات للعباد
والزهاد ونفقات ذلك ٦٠٠ ألف دينار سنويا ومدرسة ابن
فورك المتوفى ٤٠٦ هـ والمدرسة البيهقية أى المنسوبة إلى البيهقي
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ وكذلك فعل وابن طولون وعضد الدولة
في بغداد ، ونور الدين في الشام وصلاح الدين أيضا في انشاء
المدارس ثم إن نظام الملك بنى أيضا مدارس في بغداد
وأصبهان ونيسابور وهرات وجعل حول المدرسة النظامية في
بغداد ، سوقا

في المدارس الأندلسية

أما العرب الاندلسيون فقد أنشأوا مدارس في قرطبة
واشبيلية وطلطلة وغرناطة ومالقة قال المقرئ في ج أول ص
١٠٤ وليس لاهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم بل
يقرأون جميع العلوم في اساجد بأجرة؛ فهم يقرأون لان
يتعلموا الآن يأخذوا جاريا . وإلى المدارس ، المارستانات
« المستشفيات » للطب . ومن مكاتب بغداد « بيت الحكمة »

التعلم الجامعي الفنى والتسعى

فى ظن بعض الناس أن التعليم الجامعى هو الصورة الوحيدة لتنظيم التعليم العالى ؛ ولواقع أن وقد حسبوا الأمر ليس كذلك ولم يكن يوماً ما كذلك ، - كما قدمنا - أيضاً أن الجامعة معهد يعلم فيه المعلمون جميع فروع المعرفة التى يطلبها الناس فى زمن ما ، وهذا أيضاً وهم لعل أصله ما يفهمه الناس من الكلمة الافرنجية التى اصطلمحنا على تأديتها « بالجامعة » . والكلمة الافرنجية كما قد استخدمت للتعبير عن مدلول لم تكن له فى أول الأمر علاقة محتومة بالعلم ولا بالمتعلمين . فلم تقم أن الجامعة فى الأصل لتنهض بالدراسات العليا لذواتها ، إنما أنشئت الجامعات لتمد الملوك والكنيسة والحكومات والأمم برجال الدين والتعليم والقانون والطب . وعند الناس الى الاعتقاد بأن الجامعة معقل الثورة على القديم ، ويجهها قوم من أجل هذا ويكرها آخرون . وتاريخ الجامعات يدل على كونها أقرب الى المحافظة منها الى التجديد . وحقيقة الامر

في هذا وفي غيره من شؤون التعليم الجامعي أن بين الجامعة والمحيط الذي نعيش فيه ارتباطا وثيقا فهي ؛ تزدهر بازدهاره وتجمد بجموده بل قل ان خلق الجامعة نفسه يحدث تبعاً لمقتضيات الحياة الاجتماعية لقوم من الناس وان تطور الجامعة يجرى طبقا لتطور حياة القوم .

وعند الأستاذ شفيق غربال بك وكيل المعارف أن الجامعة كما نعرفها اليوم من انشاء العصور الوسطى في المجتمع الأوربي والمجتمع الاسلامي وهي مما خلفته لنا بغداد والقاهرة وقرطبة وبولونيا وباريس واكسفورد لا مما ورثناه عن أثينا والاسكندرية وروما ، وقد يبدو غريبا أن اليونان والرومان بالرغم مما بلغوه في الفلسفة والقانون لم ينظموا تعليمهم العالي تنظيما جامعيًا بل اقتصر العلم عندهم على التفاف الطلاب حول أستاذ ذائع الصيت ، أو انشاء معاهد للأبحاث العلمية قد يؤمها الطلاب ، دون أن يكون الغرض الأول من المعاهد تعليمهم . ولنا أن نتصور حوارا سقراطيا ممتعا يدور — مثلا — على

الاجازات الجامعية وعلى ما ينبغي أن تسكب أصحابها من حقوق ! . أما مرجع عدم إنشاء الرومان واليونان الجامعات فهو أن حياتهم الاجتماعية لم تقتض أن يحيا الفرد في كنف الجماعات الصغرى بل كان سلطان الدولة شاملا نافذا ؛ أقوى من أن ينمو في ظله أى سلطان مصغر وهو كفيل بحماية الجميع أما العصور الوسطى في الغرب والشرق على السواء فانها كانت عهد شدة وعنف اندثرت فيها المعالم وانطمست الرسوم وكان لا بد الافراد من التماس القوة والأمن والطمأنينة في حياة الجماعات فألفوها في ذلك الزمان لشتى الاغراض ومن هذه الاغراض طلب العلم . وما « الجامعة » في الاصل إلا مطلق « الجامعة » تنتظم فيها الطائفة من الناس من الحلاقين أو النجارين أو طلبة العلم أو المعلمين وكانوا ان أرادوا قصرها في الجامعة بالمعنى المألوف أضافوا اليها أنها اجتماع المعلمين والتلاميذ

Societas flagistorumdiscipulorumque
Universitas

أشرنا قبلا الى أن أول من انتظموا في جامعة ، كانوا طلبة العلم بمدينة بولونيا حين أحسوا بضرورة الاتحاد ليتقوا جشع أهل المدينة واشتطاطهم في أجور المساكن وأثمان الحاجات وأمام إجماع الطلاب وتهديدهم بمغادرة المدينة لم يجد أهلها بدا من الازعان والتزام المعقول في المعاملة . قلنا مغادرة المدينة ولم يكن ذلك عسيرا فلم يكن هناك بناء جامعي ولا أى شىء آخر يربط طلب العلم بمكان بعينه ، فكانت الدروس تلى حيثما اتفق أما الجامعة فتنشأ حيث يستقر المعلمون والطلاب . هكذا نشأت اكسفورد وهكذا نشأت كامبردج . انتصر طلبة بولونيا على أهل المدينة بفضل كينوتهم وصيرورتهم أعضاء في « جامعة » واستخدم الطلبة الاتحاد نفسه « الجامعة نفسها » في تحديد علاقاتهم « بعمالهم » الآخرين : الاساتذة . وكان سلاحهم في هذا « مقاطعة » المعلم . والمقاطعة سلاح ماض . فالاستاذ يعتمد على ما يجنيه من تلامذته فكان لا بد من الازعان ، وكان لا بد له من أن يعطى ميثاقه بأن لا ينقطع عن دراسة الابن التلاميذ

ولا أن يغادر المدينة بدون ضامن يضمن عودته وألا ينقص عدد سامعيه عن خمسة فإن نقصوا غرم مالا . وأن يبدأ درسه عند دق الجرس المؤذن بالانتهاء وألا يتجنب المسائل العويصة وأن يقسم أجزاء الموضوع تقسيما حسنا بين فصول السنة الدراسية .

وقد واجه المعلمون تلاميذهم بالنظام نفسه ، فالفواهم أيضا جامعتهم ، وكانت جامعة باريس - في الأصل - وعلى نقيض بولونيا - جامعة من الأساتذة . وكانت الجامعة - سواء أكانت مؤلفة من الطلاب أم من المعلمين أم من الفريقين - تكتسب كيائها القانوني بموجب عهد تصدر عن الملوك أو من البابوات توضح واجباتها وحقوقها ، وأخص هذه الحقوق إجازة الطلاب

هذا وقد تمت في داخل الجامعة نظم أخرى ، منها ما ننسأ في الأصل لايواء الفقراء من الطلاب وهي الاروقة أو المدارس الجامعة (colleges) وقد بلغ من شأنها في

اكسفورد وكامبردج على الاخص انها تركزت فيها الحياة الجامعية بكامل نواحيها تركيزاً يكاد يكون تاماً وكادت ألا تترك للجامعتين إلا عقد الامتحانات ومنح الاجازات ، ومنها ما نشأ لتنظيم الدراسات وتنسيقها وهي الكليات (faculies)

وكانت الدراسات في نشأة الجامعات مقصورة على مجموعتين : الثلاثية (trivium) وتتكون من النحو والبلاغة والمنطق والرباعية (quadrivium) وتتكون من الحساب والفلك والهندسة والموسيقى . ثم نظمت الدراسات في كليات أربع : الآداب والقانون والطب واللاهيات . وكانت كلية الآداب إذ ذاك بمثابة كلية إعدادية للكليات الاخرى ، ولا بدع في ذلك فقد كانت إذ ذاك تقوم بما يقوم الآن التعليم الثانوي ولم يكن له وجود في تلك الايام

أما مكان الجامعة في الحياة الفكرية في تلك العصور ، فيمكنني أن نذكر انها كانت عصور « الايمان » ، « والايمان - كما قال انسلم (Anselm) - يسبق العلم ويعين حدوده ويقرر

شروطه . فأنا أومن لكي أستطيع أن أعرف . وفي وحدة
 الإيمان كان سر قوة الجامعة كما كان فيه سر ضعفها . إذ جعل
 الجامعة عادة في صف السلطان وأن هي لم تعد التفكير الجريء .
 عاونها على هذا ما اتخذته من منهج الحوار والمناظرة في تكوين
 الطلاب وشجذ أذهانهم وألسنتهم وموَجَر القول أن جامعة
 العصور الوسطى قد حرمت على نفسها الابتعاد عن المتون ؛
 كما فرضت على نفسها السعي لتحقيق غايات عملية محدودة ،
 وبينما هي واثقة كل الوثوق بصحة ما تقرر إذ هي كثيرة الجدل
 واللجاج ، وقد أهملت تربية الذوق السليم وقيدت الخيال .
 ولكنّها وفّت بحاجات العصر وحفظت في دراساتها القانونية
 وفي فلسفة أكريناس ومدرسته تراثاً ثميناً للإنسانية

وقد زاد عدد ما أنشئ من الجامعات في ممالك أوروبا
 الغربية على الثمانين . منها ما لم يعمر طويلاً ومنها ما ظل قائماً
 حتى الآن كباريس ومونبلييه في فرنسا وبولونيا وبادوا بإيطاليا
 واكسفورد وكامبردج بانجلترا وفيينا بالنمسا وليبزج بألمانيا

وسالا مانكا بأسبانيا ولوفان ببلجيكا وكرا كوف ببولونيا
ويراج أو براها ببلاد التشك (بوهيميا) وغيرها . ولكن
هذه الجامعات أثرت إغفال مجارة التطور الفكرى فى العصور
التالية للنهضة الاوربية بل قاومته أحيانا بالقدر الذى تستطيع
فوققت موقفا عـدائيا من فلسفة ديكارت ولم تفسح مجالا
للحركة العلمية فى القرنين السابع عشر والثامن عشر فنمت هذه
الحركة مسقة عن الجامعات . ووصلت أوروبا لنهاية القرن
الثامن عشر : لعصر الثورة الزمنية والثورة الاقتصادية
والجامعات جامدة فى مكانها ولكن العاصفة مالبثت حتى هزمتها
أما فى فرنسا فانها عصفت بها وأحلت مكانها حتى قرب نهاية
القرن التاسع عشر المدارس العالية والكلليات (الصورة
الأخرى لتنظيم التعليم العالى) مجتمعة وقتا ما فى جامعة واحدة
وأما فى إنجلترا فانها أيقظتها وأقامت بجانبها جامعات حديثة
فوصلت إنجلترا بذلك — كما يفعل الانجليز — حاضرها
عـاضيا . ولم يكن قضاء رجال الثورة الفرنسية على جامعات

فرنسا الاثنتين والعشرين كرها منهم للتعليم العالي وإنما كان
 يأسا من امكان اصلاح الجامعات وتمشيا مع فكرة أساسية
 من أفكار الثورة هي ألا تعرف الدولة الا أفراد الأمة فقط
 وأن تنعكس الوحدة القومية في وحدة الدولة فلا مكان اذن
 للجامعات ولا مكان للجامعات وأقامت الثورة مكان الجامعات
 المدارس العالية .

ولم يرض نابليون بعد اذن عن تنظيم التعليم العالي
 على هذا النحو . فجمع معاهد التعليم على اختلاف
 أمكنتها ودرجاتها فيما سماه « جامعة فرنسا » وجامعة فرنسا
 كالامبراطورية ، اذن وحدة غير قابلة للتجربة والفكرة
 النابليونية في تركيز التعليم على هذه الصورة واضحة ، هي
 ان تكون دولة الرعاية على النمط الذي ترتديه ، ولا يجوز
 لأحد أن يعلم الا باذن الجامعة وتحت اشرافها ولا يجوز
 لمدرسة أن تنحرف عن البرنامج الذي ارتضته الدولة

بواسطة الجامعة للتعليم ، وفي حديث نابليون « لن يكون
 استقرار سياسى إلا بتحديد أغراض التعليم تحديداً لا
 شك فيه فحيث لا يعرف الناس إن كان التعليم يرمى الى
 أن يخلق منهم جمهورية أو ملوكيين ؛ نصارى أو كافرين
 لا توجد جامعة جديدة بهذا الاسم ». فلا مجال فى جامعة فرنسا
 لحرية الفكر ولا مجال للدراسات السياسية والاجتماعية ولم
 يرد منها نابليون إلا خمرأ يتمشى فى عقول المنوهين
 من الخطباء والبارعين من الكتاب وبسبب اختلال
 التفكير والتطلع لما لا يعنى الناس ولم يرفى الدراسة
 التاريخية التى لا تجرى كما يرسم الحاكم إلا وبالا ، ولم
 ير بأساً فى دراسة الرياضيات . أما الطب فلا بدمنه ودراسة
 العلوم الطبيعية يجب تشجيعها لأقصى حد ممكن ، فالتفوق
 فيها يبنى للامبراطورية مجدداً ، والكشف عن أسرار
 الطبيعة له ناحية تطبيقية تزيد فى الثروة والرفاهية .

وهذا شأن الديكتاتوريين والحكام بأمرهم والعسكريين
 إذ أنهم يريدون حقن الأمة في وعاء واحد وهو تركيز
 السلطة المطلقة في أيديهم واتخاذ التعليم بأنواعه أداة لهذا
 التركيز

وقد دامت هذه الجامعة الامبراطورية قانونا حتى
 سنة ١٨٥٠ . ولكن كان شأنها خاملا بالقياس للسلطات
 المختلفة المنشأة في أرجاء فرنسا والقائمة بالتعليم العالي
 للآداب والعلوم والقانون والطب؛ الى أن تحولت في سنة
 ١٨٩٦ الى الجامعات الفرنسية الحالية .

الجامعة والمدارس العامة

ولو كان الأمر متصوراً على تحصيل علم معين ، أو إعداد الشبان ليكونوا أطباء أو مهندسين لما دعا الحال إلى تحويل كليات فرنسا في سنة ١٨٩٦ إلى جامعات فهذه كانت تقوم بمهمتها قياماً مرضياً . ولكن للجامعة مهمة تسمى على ذلك . إنها مجتمع له وجوده الخاص ، يحيا أعضاؤه حياة كاملة . يحصلون العلم معاً ويعبدون الله معاً ويلهون وهو الشباب معاً . وما الاجازات الجامعية الا قبول الفرد من الشبان قبولاً نهائياً في مجتمع الأمة . فليست إذن كما يفهمها العامة شهادة العتق ! وليست عما يجوز منحه لمن لم ينشأ في ذلك المجتمع بل حضر

مادة الدروس وأدى فيها الامتحان .

والجامعة تبعد عن المدرسة العالية بعد اليادة هو مبروس
عن دائرة المعارف أو بعد لعبة من المسكعبات عن خلية
النحل ! ولا أدل على طبيعتها وعلى نوع رسالتها من كون
المشرفين على التربية في روسيا البلشفية قد قللوا من خطر
الجامعات وأكثروا من المدارس الفنية العالية ! فالتعليم
الجامعي أقوى مقوم للشخصية المستقلة .

والدراسة الجامعية - مهما تفرعت - أشبه ما تكون
بالنفس الانسانية : واحدة متعددة . ولكي تكون الجامعة
كذلك ، لكي تؤدي رسالتها ، يجب أن تكون حرة
وليست الحرية مقصورة على الاستقلال عن الحكومة
كلا . فان التدخل الحكومي ربما كان أقل أعداء حرية
الجامعة شأننا . انما المقصود التحرر من عنق الجماعات

المختلفة والأفراد فهم هذا الانجليز تماما. فحرروا جامعاتهم القديمة والجديدة تحريراً تاماً، وعاونوا الجامعتين القديمتين على إصلاح شؤونهما بنفسيهما، وتركوا أمر إنشاء الجامعات الجديدة للأفراد والجماعات وعند ما التزمت الحكومة باعانة الجامعات ماليا لم تقتض ثمن ذلك خضوعاً.

وقد عرفت مصر التعليم الجامعي كما رسمته الحضارة الاسلامية دهرأ طويلاً كما أنها عرفت التعليم العالي المنظم في المدارس الفنية العالية منذ النهضة المحمدية العلوية ولما أرادت استكمال أسباب الثقافة العالية الشاملة نهضت بانشاء الجامعة المصرية. وقد يبدو للناظر ابتعاد معاهد الدراسة العالية (الاسلامية والفنية العالية والجامعة الحديثة) بعضها عن البعض الآخر: ولكن هذا الاقصاء كان في اواقع خارجياً فقط، والثابت أن المعاهد المختلفة تبادلت

التأثير والنفوذ بطرق دقيقة خفية وظاهرة وعلى كل فلم
يصب المصريين ذلك اللون الممقوت من ألوان الاستبداد
الذى يأبى إلا أن يصب حياة الأمة الروحية في قالب
واحد وظلوا أحراراً يتجهون نحو ما يريدون لأنفسهم
من شتى المثل العليا وبقيت لهم ثقافة غنية بتباين أصولها
وتنوع عناصرها .

وقد دفع إنشاء الجامعة المصرية الحكومة نحو
التفكير في تحويل معاهدها العالية الى جامعة فألفت لجنة
درست الموضوع دراسة تفصيلية في تقرير مطبوع . ثم
قامت بتحقيق ذلك في سنة ١٩٢٥ دون أن تنظر في تقرير
لجنة الجامعة ، وهذا مما يؤسف له ففي ذلك التقرير محاولة
جديرة بالعناية نحو تنسيق الدراسات الجامعية على أساس
مفهوم . كما أن فيه حلاً جديراً بالنظر لتنظيم الوصل بين
التعليم الجامعي وفيه أخيراً طريقة مرضية لتعيين مكان

الدراسات والدراسات البيداغوجية في إعداد المعلم وهذه
المسائل الثلاث من المسائل التي تواجه الباحثين إلى الآن

والتعليم الجامعي في مصر جديد قديم ، جديد من
حيث سنة المولد ومن حيث أن بعض الدراسات وبعض
مناهج البحث لم تعرفها بلادنا قبل ولادة الجامعة وقديم
إذا اعتبرنا أثر العصور الخوالي في المحيط الذي لا مفر
للجامعة من أن تعيش فيه . ومن شروط الحياة الملائمة
بين السكان وبين ما يعيش فيه . قلنا الملائمة وهي لا تفيد
الاستسلام وهي ليست سلبية .

وقد خلقت مصر الجامعة لتكون لها إماماً ولكنها
لن تكون لمصر إماماً إلا إن قبلت الأمة شروطاً أربعة
وقبول الأمة لهذه الشروط أهم في النهاية من قبول الطائفة
من الناس تتولى الحكم زمناً ما .

أولها : تقدير حرية الجامعة حق قدرها بأن لا تحدد لها دائرة المعرفة وألا ترسم لها مناهج البحث . والتسليم للجامعة بهذه الحرية يستلزم أن يترك لها أمر تنظيمها وان تكون الحكم في كل ما يتعلق بكيفية استعمال أعضائها من المعلمين والطلاب لهذا الحق .

وحق الحرية هذا يفيد أيضاً حق الجامعة المطلق في تخير طلابها وأساتذتها وفي وضع ما تراه من المقاييس لتنظيم الاجازات الجامعة المطلق في تخير طلابها وأساتذتها وفي وضع ما تراه من المقاييس لتنظيم الاجازات الجامعية ولا تعارض في الحقيقة بين الاعتراف بحق الجامعة في اختيار طلابها طبقاً لما تراه محققاً لأغراض التعليم الجامعي وبين حق المساواة المقرر لجميع المصريين ما دام اختيار الجامعة لا يجري تبعاً للهوى أو لارضاء بعض الطوائف أو الأفراد وما دامت الجامعة تقوم من ناحيتها بمعاونة

الدولة الديموقراطية في سعيها المستمر لازالة العقبات التي
تعرض تحقيق فكرة المساواة .

أما ثانيها فهو كفالة الوسائل التي تعين الجامعة على
تأدية رسالتها من ناحية تنقيف الشبان عقلا وروحا وابدنا
وأحياء تراث الانسانية وصونه ومتابعة البحث العلمى
أما ثالثها فهو إشراف الجامعة على الطلبة وتعليمهم قبل الجامعة
أما رابعها فهو كفالة العمل المناسب للتخريج .

التعليم الشعبى والجامعات الشعبية

لعل المدرسة الاسلامية التي نشأت فى صدر الاسلام
مع نزول القرآن الكريم وإنشاء المساجد العديدة للصلاة
والإستذكار والوعظ والإرشاد والإستفتاء ؛ هى المدرسة
الشعبية الأولى التي عرفها العالم منذ يومئذ الى اليوم ؛ إن لم
نقل العالم كله منذ أقدم العصور : ذلك أن التعليم ؛ يومئذ
ولم يكن مقيدا لا بزمان ولا بمكان ولا بشروط فحشا وجد

أناس يصلون أو يصومون أو يتذاكرون راغبين في
المعرفة في منزل أو مسجد أو سوق من الأسواق أو رحلة
من رحلات القوافل أو غيرها . ووجد بينهم ، حافظ
للقرآن أو فقيه في علومه أو شاعر راوية . كان هناك
مدرسة . أعني مكانا للتدريس . فيه المدرس وهو في
الأغلب ، متطوع ، وطلبة هم هؤلاء المجتمعون للصلاة أو
المحاضرة أو المسامرة وقد يكون بينهم نساء لهذا الغرض
ومن ثم كان الجامع الأزهر ، منذ نشأته الأولى . إلى أن
حددت القوانين والنظم الأخيرة شروط الالتحاق به
والدراسة فيه وعينت مناهجه وشهاداته ، جامعة شعبية .
بمعنى أن الباب مفتوح لكل عربي مصريا أو غير مصري
شابا أو شيخا ، كفيفا أو مبصرا ، أيا كان زيه ؛ فقيرا أو
غنيا ، ولو أمضى العمر كله في الدراسة . له أن يغيب عن
الدرس أو يحضر . وله أن يشتغل بمهنة تكفل له الغذاء

والكساء أو يأخذ كفاية من ذلك مما يجرى على الطلبة من ريع الأوقاف. كذلك كان بعض العلماء واغنياء . يجعلون دورهم مكانا لحضور العلماء واستماع الطلبة اليهم على أن الجامعات النظامية الحديثة قد نقلت إلى الشعب في غير قيود الا ما تفرضه الضرورة تعلما شعبيا. وذلك في ما أنشأت هذه الجامعات من أقسام للثقافة العامة يلقي فيه أساتذة الجامعة وغيرهم محاضرات يحضرها مستمعون ، بشروط يسيرة أو من غير شرط كما نشهده في مصر من محاضرات قسم الخدمة العامة في الجامعة الأمريكية في القاهرة وكذلك ما أنشئ من دراسات المراسلة التي تيسر لطلاب المراسلة الذين يتلقون بالبريد دروسا ومحاضرات مطبوعة مقابل أجر قليل ، وعقد امتحانات حددت شروطها وأوقاتها وعينت شهاداتها ، أو من غير الامتحان والشهادة .

الجامعة الشعبية فى القاهرة

١٨ شارع قصر العينى

أصدر الدكتور عبد الرزاق أحمد السنهورى باشا وزير المعارف يومئذ القرار الوزارى رقم ٦٥٤٥ بتاريخ ١٠ اكتوبر سنة ١٩٤٥ بإنشاء جامعة شعبية بالقاهرة ، وقد أصدر بعدئذ القرار الوزارى رقم ٦٥٤٦ بتاريخ ١٠ اكتوبر سنة ١٩٤٥ بتكوين مجلس ادارة لهذه الجامعة فى ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ ، أصدر القرار الوزارى رقم ٦٦٥٩ جاء فى المادة الأولى أنه يعمل بالنظام الأساسى للجامعة الشعبية المرافق لهذا القرار . وفى المادة ٢ - يصدر باللائحة الداخلية للجامعة الشعبية وبمناهج الدراسة بها قرار من مجلس الادارة .

أغراض الجامعة الشعبية

نصت المادة الأولى على أن تقوم الجامعة الشعبية تقوم على تحقيق الأغراض الآتية . (١) تنظيم دراسات عقلية وفنية يقصد تكوين الشخصية وترقية المملكات ورفع المستوى الثقافي ، (٢) العمل على نشر الثقافة العامة بين طبقات الشعب على أساس من الرغبة الشخصية دون اشتراط مؤهلات خاصة (٣) المساهمة في إيقاظ الوعي القومي عن طريق العمل على رفع المستوى العام الفكرى والاجتماعى ، (٤) العناية بنواحي النشاط الاجتماعى للطلبة المنتسبين للجامعة عن طريق تنظيم رحلات وإقامة حفلات رياضية وترفيهية .

أما المادة الثانية فقد نصت الى أنه يراعى فى تنظيم الدراسات التى تقوم عليها الجامعة توفير العوامل التى تستثير الاستعدادات الكامنة والرغبة فى الرقى وفى المادة الثالثة أنه

لا تقتصر الدراسات في الجامعة الشعبية على ماهو نظرى منها بل تشمل دراسات تثقيفية متصلة بالمهنة ، والمادة الرابعة تنص على أنه يجوز أن تنظم الجامعة دراسة ملائمة لفئات العمال وأعضاء المؤسسات الاجتماعية في مراكزهم الخاصة بهم .

خطة الدراسة ومناهجها

أما المادة الخامسة — فقد نصت على أن الدراسة في الجامعة تشمل المواد الآتية : (١) الثقافة السياسية « القومية والدولية » ، و (٢) الثقافة التاريخية ، و (٣) الثقافة الأدبية و (٤) الثقافة العلمية ، و (٥) الثقافة التجارية ، و (٦) الثقافة الزراعية ، و (٧) الثقافة الصناعية ، و (٨) الثقافة الاجتماعية و (٩) الثقافة الدينية ، و (١٠) الثقافة الطبية والصحية و - ١١ - الثقافة النسوية ، و - ١٢ - الثقافة الفنية . ويكون لكل مادة من المواد المتقدمة شعب خاصة . ويجوز بقرار من

مجلس الادارة انشاء شعب أخرى لتدريس مواد غير ما تقدم
 وفي المادة السادسة — يوضع لكل شعبة من هذه الشعب
 مناهج خاصة يختلف مستواها باختلاف المستوى الثقافى للطلاب
 المنتسبين لها . وفي المادة السابعة تنظم الدراسة في مقر الجامعة
 ويجوز أن تؤدي في أما كن صالحة لهذا الغرض ، وفي المادة
 الثامنة — تنظم الجامعة إلى جانب الشعب سلاسل من
 المحاضرات العامة يلقيها الممتازون في فروع الثقافات المختلفة

أما شروط القبول : فقد نصت المادة التاسعة على أن
 يكون حق الانتساب للجامعة والاستماع لما يلقي فيها من
 دراسات ومحاضرات مباحا للجنسين على السواء . والمادة
 العاشرة — يشترط في الطالب المنتسب ألا تقل سنه عن
 السادسة عشرة وأن يكون ملما بالقراءة والكتابة . والمادة
 الحادية عشرة — يكون رسم القمء عن كل شعبه مائتى ملیم .
 والمادة الثانية عشرة — لا يجوز للطالب أن ينتسب في
 عام دراسى لأكثر من ثلاث شعب .

تنظيم العمل في الشعب

وفي المادة الثالثة عشرة - يخصص لكل شعبة مشرف
 اختصاصي يكون من اختصاصه الاشتراك مع ادارة الجامعة
 في اختيار صلاحية المتقدمين للدراسة في شعبته والاشراف
 على سير الدراسة في مادته كما يشترك في اعداد المناهج
 واختيار المحاضرين ويمنح المشرفون مكافأة يحددها وزير
 المعارف السنوية بناء على طلب مجلس ادارة الجامعة . وفي
 المادة الرابعة عشرة - يعلن عن الشعب التي يتم تنظيم العمل
 فيها ؛ وتبدأ الدراسة بها متى تقدم للالتحاق عدد مناسب

أوقات الدراسة

وفي المادة الخامسة عشرة - تكون مدة الدراسة في الشعب ثمانية أشهر في السنة . ويحدد موعد بدء الدراسة وانتهائها في كل شعبه بقرار من مجلس إدارة الجامعة . وفي المادة السادسة عشرة - مدة المحاضرة خمسون دقيقة . وفي المادة السابعة عشرة - تكون الدراسة مسائية في جميع أيام الأسبوع ما عدا أيام الجمع والاعياد الرسمية . كما يجوز تنظيم دراسات ومحاضرات نهائية للسيدات

وهناك أحكام عامة ، ورد ذكرها في المادة الثامنة عشرة - التي نصت على أنه لا تمنح الجامعة إجازات علمية . وإنما يجوز أن تعطى الطالب المنتظم في دراسته شهادة تدل على متابعته للدراسة بانتظام وفي المادة التاسعة عشرة - يجوز للجامعة أن تمنح المتفوقين من الطلبة مكافآت مالية . أما المادة العشرون

فقد جوزت للجامعة أن تستعين في نشر رسالتها الثقافية بالممتازين

من الطلبة المنتسبين لها وزير المعارف

(السنهوري)

هذا ويقوم التدريس في الجامعة الشعبية ، كبار رجال
الجامعة والتعليم والطب والزراعة ، منهم الوزراء ووكلاء
الوزارات ومديرها الأستاذ أمين ابراهيم كحيل بك ، ورئيس
مجلس ادارتها الأستاذ أحمد أمين بك . ويتجه الرأي إلى تعميم
الجامعات الشعبية في الوجهين البحري والقبلي ، تبعا لحالة
الميزانية . والاقبال على الجامعة الشعبية عظيم ومن طبقات
الامة ، صناعاتها وأعيانها وكبار موظفيها

الكتاب الثاني

الجامع الأزهر

رأينا إتماماً للكتاب الأول عن التعليم العربى والجامعى
أن يعقبه هذا الكتاب الثانى عن الجامع الأزهر إذ كان
ولا يزال أول أوضح دليل على تاريخ التعليم الإسلامى والعربى
والنظام الجامعى .

أنشأ الجامع الأزهر جوهر القائد الكاتب الصقل
مولى الامام أبى تميم معز الخليفة أمير المؤمنين المعز لدين
الله لما اختط القاهرة وكان الشروع فى بنائه لسبع بقين من
جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ - ٩٧٠ م وكمل البناء لتسع

خلون من رمضان سنة ٣٦١ هـ - ٩٧٢ م . وفي دائرة
 القبة التي في الرواق الأول وهي على يمين المحراب والمنبر
 ما نصه بعد السسمة « مما أمر ببناؤه عبد الله ووليه ابو تميم
 معد الامام المعز لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه
 وعلى آبائه وابنائهم الأكرمين على يد عبده جرهر الكاتب
 الصقلي وذلك في سنة ستين وثلاثمائة » وأول جمعة جمعت
 فيه في شهر رمضان لسبع خلون منه سنة ٣٦٠ هـ (أنظر
 خط المقریزی ج ٢ »

وقد جدد الخلفاء والولاة والسلاطين والوزراء
 والأمراء وذوو الجاه الجامع ووسعوه كما جاء في المقریزی
 في خطط ج ٢ وعلى باشا مبارك ج ٤ والشيخ سليمان رصد
 في كتابة كنز الجوهر صفحة ٢٢ وما بعدها وهؤلاء هم
 المحددون الموسعون ؛ تذكر أسماءهم كما يلي :
 العزيز بالله أبو منصور نزار ابن المعز لدين الله .

الحاكم بأمر الله المستنصر . الخافض لدين الله . الامير عز
الدين أيدير الحلبي . الامير بيابك الخازندار في سلطنته
الظاهر بيبرس . الامير سلا رعلاء الدين طبرس . القاضي
نجم الدين محمد بن حسين الاسعردى . الامير علاء
الدين اقبغا . الامير الطواشى سيد الدين بشير الجامار
الناصرى ، الظاهر برقوق ، الامير بدر الدين جنكل ابن
البابا الامير تاج الدين الشوبكى الامير سودوب مقاضى .
جواهر القنقيائى

وقال ابن اياس إن الخوارجة مصحفى بن محمود بن
رستم الرومى عمر الجامع سنة ٩٠٠ هـ وصرف عليه من
ماله ١٥٠٠٠ دينار — وفى نزهة الناظرين تفصيل عن
تجديد الازهر فى أيام الملك الاشرف ابى النصر قايتباى
والمملك الظاهر ابى سعيد قانصوه خال الناصر . والمملك
الاشرف قانصوه الغورى . والواليين العثمانيين الشريف

محمد باشا سنة ١٠٠٤ هـ والوزير حسن باشا سنة ١٠١٤ هـ
وقد ذكر الجبرتي عند كلامه على وفاة الاميرين
اسماعيل بك المتوفى سنة ١١٣٦ هـ وعبد الرحمن كتيخدا
المتوفى سنة ١٣٩٠ هـ ما قاما به من تعمير الأزهر واقامة
أعمدة الزمام والصريج والمطبخ وخزائن الكتب والمنارة
وغيرها .

واهتم محمد علي باشا بالأزهر اهتماما شديدا . وجدد فيه .
كما حفه ابراهيم باشا برعايته . اما عباس باشا الاول فقد أولاه
عنايته وكان يزور الأزهر وينثر القروش الفضية بعد خروجه
منه . اما سعيد باشا فقد عمر الجامع عمارة حسنة .
وجدد اسماعيل باشا باب الصعايدة الكبير مع ما فوقه بأحسن
مما كان . ولما علم توفيق باشا ان هناك خللا في
المقصورة القديمة أمر باصلاحها . وفي عهد الخديو عباس
الثاني جددت بالأزهر تجديدات مهمة نذكر منها تجديد الرواق

العباسي والصحن وباب المزينين ؛ وأبدى السلطان حسين كامل
بالأزهر كل اهتمام وتمت على يديه اصلاحات عديدة ، ووجد
الملك فؤاد الأول المباني الأزهرية وزاد معاهده وسار جلالة الملك
فاروق - حفظه الله - على نهج والده العظيم وأجداده العظام
في تجديد الأزهر وكمياته ويبلغ مساحة الأزهر الآن ١١٣٨٠
مترا مربعا

مشيخة الأزهر

حين أنشئ الأزهر لم يكن له شيخ الى القرن العاشر وإنما كان
يتولاه الملوك والأمراء وفي القرن الحادى عشر الهجرى جعل
للأزهر شيخ ، ومما يحمل ذكره ان شيخ الأزهر كان بمثابة
شيخ الاسلام فى دار الخلافة فكان يقوم بشؤون الأزهر
ويرعى أمور أهله ويفصل فى قضاياهم ويضبط مرتباتهم
ويمثلهم لدى الحكومة ومنوط به اقامة شعائر الدين فى أنحاء
القطر قاطبة أما أول من تولى المشيخة كذا كرا الجبرتي فهو الامام محمد
ابن عبد الله الخرشى المالكي المتوفى سنة ١١٠١ هـ وبنده الشيخ

محمد النشرفي المتوفى سنة ١١٢٠ هـ وبعده الشيخ عبد الباقي
 المالكي القليني فلما مات خلفه الشيخ محمد شنين المالكي المتوفى
 سنة ١١٣٣ هـ . ثم الشيخ ابراهيم بن موسى الفيومي المالكي
 المتوفى سنة ١١٣٣ هـ . ثم الشيخ ابراهيم الشبراوي الشافعي
 وتوفى سنة ١١٧١ هـ وبعده الشيخ الحنفى المتوفى سنة ١١٨١
 هـ ثم الشيخ عبد الرؤوف السجيني وتوفى سنة ١١٨٢ هـ ثم
 الشيخ أحمد الدمنهوري المذاهبي وتوفى بمنازلته بيولاى سنة ١١٩٢
 هـ . وبعده وفاته حصل نزاع فى تولي المشيخة بين الشيخين
 عبد الرحمن ابن عمرو العريشى الحنفى وأحمد العروسى الشافعى
 مدة سبعة أشهر ثم آلت إلى الثانى وتوفى سنة ١٢٠٨ هـ فانتقلت
 المشيخة للشيخ عبد الله الشهير بالشرقاوى وهو الذى أنشأ
 رواق الشارقة . وقد دخل الفرنسيون مصر فى أيامه
 وانتخبوه عضوا فى الديوانين العمومى والخصوصى (أنظر
 الجبرقى ج ٢ وتاريخ مصر الحديث لجورجى زيدان وفتح
 مصر الحديث لأحمد حافظ عوض) . وتوفى الشيخ الشرقاوى

سنة ١٢٢٧ . وخلفه الشيخ محمد الشنواني الشافعي وتوفي
سنة ١٢٣٣ هـ ثم تقلد المشيخة السيد محمد ابن الشيخ أحمد
العروسي سنة ١٢٤٥ هـ وجاء بعده الشيخ أحمد الدمهوجي
الشافعي وتوفي ليلة عيد الأضحى سنة ١٢٤٦ هـ بعد أن
مكث ستة شهور فانتقلت المشيخة إلى الشيخ حسن ابن محمد
الطار فأقام شيخا حتى مات سنة ١٢٥٠ هـ . وكان أبوه
طارا . وكان محمد علي باشا يحل الشيخ الطار ويعظمه .
وبهذه المناسبة نذكر أن محمد علي باشا كان يحترم العلماء ويعمل
بمشورتهم وقد سار أولاده وأحفاده على هذا الرأي الصائب
وتقلد المشيخة بعد الشيخ الطار البرهان الشيخ حسن القويسني
وكان مع انكشاف بصره مهيب الجانب لا يقبل الهدايا
واعتراه الجذب في آخر عمره سنة ١٢٥٤ هـ ثم تقلد المشيخة
بعده الشيخ أحمد بن عبد الجواد الشهير بالصائم الشافعي الصفي
واستمر في الرياسة إلى سنة ١٢٦٣ . وتولى المشيخة بعده الشيخ
إبراهيم البيجوري واعتمر في التدريس مع القيام بشؤون المشيخة

وكان المرحوم عباس باشا الأول يزوره في درسه بالأزهر
 فلا يقوم الشيخ له بل يهيء له كرسيًا من جريد يجلس عليه
 خارج الدرس — ولما كبر سن الشيخ حصلت حوادث
 أوجبت إقامة أربعة وكلاء عنه للقيام بواجبات الوظيفة تحت
 رئاسة الشيخ العروسي فانتخب الشيخ أحمد كبوه العدوي
 والشيخ اسماعيل الحلبي والشيخ خليفة القشني والشيخ مصطفى
 الصاوي واستمر الجميع قائمين مقام الشيخ البيجوري الى أن
 توفي سنة ١٢٧٧ هـ . وبقي الأزهر بلا شيخ بوكالة الأربعة الى
 سنة ١٢٨١ هـ . ثم تقلد المشيخة مصطفى العروسي وعزم على
امتحان المدرسين لولا أن عزل سنة ١٢٨٧ هـ . فتقلد المشيخة
 الشيخ محمد المهدي العباسي الحنفي مفتي الديار وهو أول من
 تقلد المشيخة من العلماء الحنفية وقد سن امتحان التدريس
 للعلماء بعد أن استأذن الخديوي في ذلك . وقد تولى المشيخة
 سنة ١٢٨٧ هـ . ثم انصرف عنها وعن الافتاء ورجع
 اليهما مرتين وتوفي ليلة الأربعاء ١٣ رجب سنة ١٣١٤
 هـ . ومن مؤلفاته الفتاوى المهدية الشهيرة — وقد

تولى الشيخ محمد الامباني الشافعي مشيخة الازهر في المرة
الاولى سنة ١٢٩٩ هـ . وانصرف في آخرها ثم تولاها للمرة
الثانية سنة ١٣٠٤ هـ . واستمر فيها الى سنة ١٣١٢ هـ . إذا مرض
فتعين الشيخ حسونه النواوي وكيلاً عنه . ثم استعفى
الشيخ الامباني وتوفي سنة ١٣١٣ هـ .

وما يجدر ذكره ان مجلس ادارة الازهر قد أنشئ
بأمر عال في ٧ رجب سنة ١٣١٢ هـ . وكان المجلس يتشكل
من خمسة اعداء رئيسهم شيخ الجامع وهم المشايخ محمد عبده
المفتي وعبد الكريم سليمان عضو المحكمة الكبرى بمصر
وسليمان العبد أحد علماء الشافعية ومحمد أبو الفضل الجيزاوي
أحد علماء المالكية والسيد أحمد الحنبلي شيخ رواق
الحنابلة .

ولما توفي الشيخ الامباني تولى المشيخة الشيخ حسونه

The Law of 1908 The edm. Council

النواوى فى ٢ محرم سنة ١٣١٣ هـ . - ٢٥ يونيه سنة
 ١٨٩٥ م . بأمر الخديوى وأصبح الشيخ رئيساً لمجلس
 ادارة الأزهر ثم انضمت اليه وظيفة الافتاء سنة ١٣١٥ هـ
 بعد وفاة الشيخ المهدي وبعد أن قام وكيلا عنه مدة . وهو
 ثانى من جمع بين الافتاء والمشيخة من الحنفية . ثم انصرف
 عن المشيخة والافتاء سنة ١٣١٧ هـ . فتولى المشيخة الشيخ
 عبد الرحمن القطب الحنفى النواوى فى ٢٤ محرم سنة
 ١٣١٧ هـ - ٣ يونيه سنة ١٨٩٩ م . وتوفى بعد شهر
 واحد فردت المشيخة الى أصلها السادة الملكية فتقلدها
 الشيخ سليم مطر البشرى فى ٢٨ صفر سنة ١٣١٧ هـ الموافق
 ٦ ابريل ١٨٩٩ .

وتعين بعده الشيخ السيد على البىلاوى فى ٢ ذى الحجة
 سنة ١٣٢٠ هـ - اول مارس سنة ١٩٠٣ م . ثم استقال
 فى ٩ محرم سنة ١٣٢٣ هـ - ١٥ مارس سنة ١٩٠٥ م وخلفه

الشيخ عبد الرحمن الشريفي في ١٣ محرم سنة ١٣٢٣ هـ -
 ١٩ مارس سنة ١٩٠٥ م ثم تولى المشيخة بعده الشيخ حسونه
 الزواوي في يوم ١٦ ذي الحجة سنة ١٣٢٤ هـ - ٣٠ يناير
 سنة ١٩٠٧ م وجاء بعده الشيخ سليم لثاني مرة وتعين في ١٢
 ربيع الاول سنة ١٣٢٧ هـ - ١٣ ابريل سنة ١٩٠٩ م ثم
 تولى المشيخة الشيخ محمد أبو الفضل الجزاوي في ٦ محرم
 سنة ١٣٣٨ هـ - اول اكتوبر سنة ١٩١٩ م . وتوفي
 وهو في المشيخة في ١٤ مايو سنة ١٩١٧ بعد أن عمر ٩٥
 سنة وتعين بعده الشيخ محمد مصطفى المراغي في ١ ذي
 الحجة سنة ١٣٤٦ هـ - ١١ مايو سنة ١٩١٨ م واستمر
 في المشيخة حتى استقال فصدر الأمر الملكي نمرة ٦٨ في
 سنة ١٩١٩ م بتعيين الشيخ محمد الاحمدى الطواهرى شيخ
 معظما شيخاً للعلماء اعتباراً من ٧ جمادى الأولى

الاولى سنة ١٢٤٨ هـ - ١٠ أكتوبر سنة ١٩٢٩ م . الى
سنة ١٩٤٤ خلفه المغفور له الشيخ محمد مصطفى المراغى
للمرة الثانية الى أن توفي في ١٩٤٥ وخلفه حضرة صاحب
الفضيلة الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق

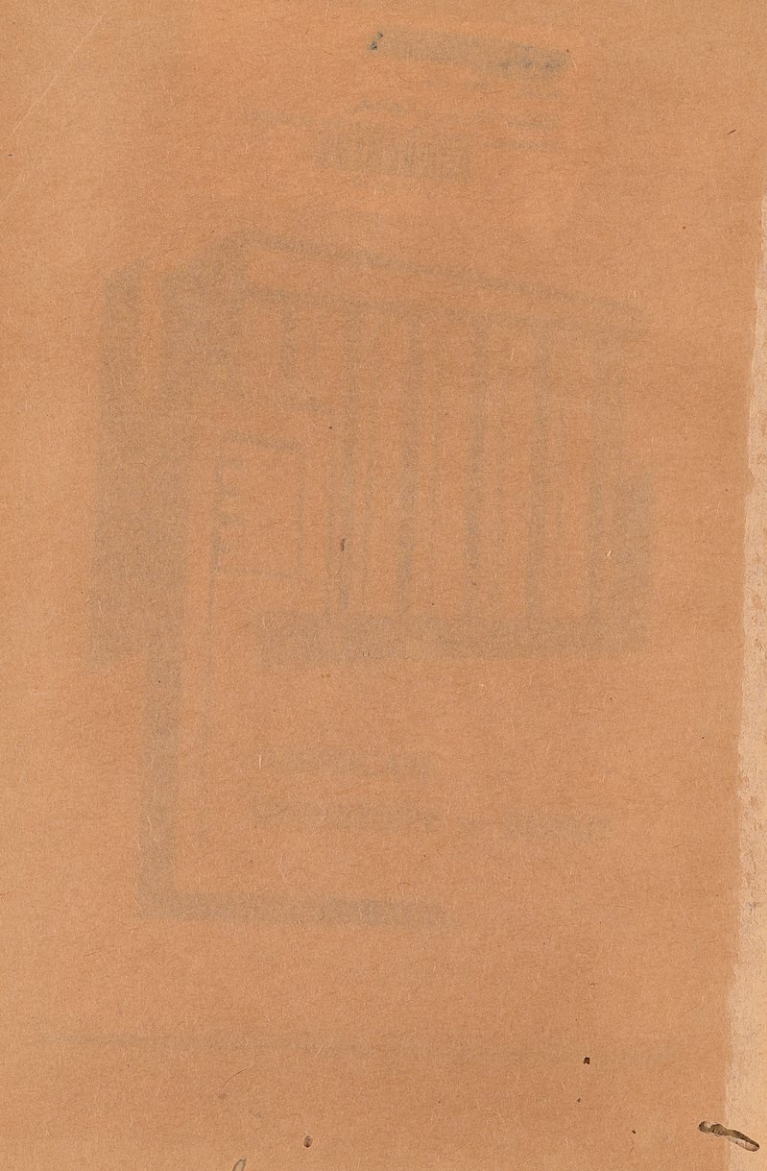
ويقول القائمقام حسين شفيق بك إنه لما بنى عمرو بن
العاص مسجده المعروف اتخذ فيه جماعة من الصحابة
مركزاً علمياً وظل التدريس فيه مدة طويلة واقتفى أثره
في ذلك جامع أحمد ابن طولون فلما بنى الجامع الأزهر
آلت اليه تلك الحركة الميمونة .

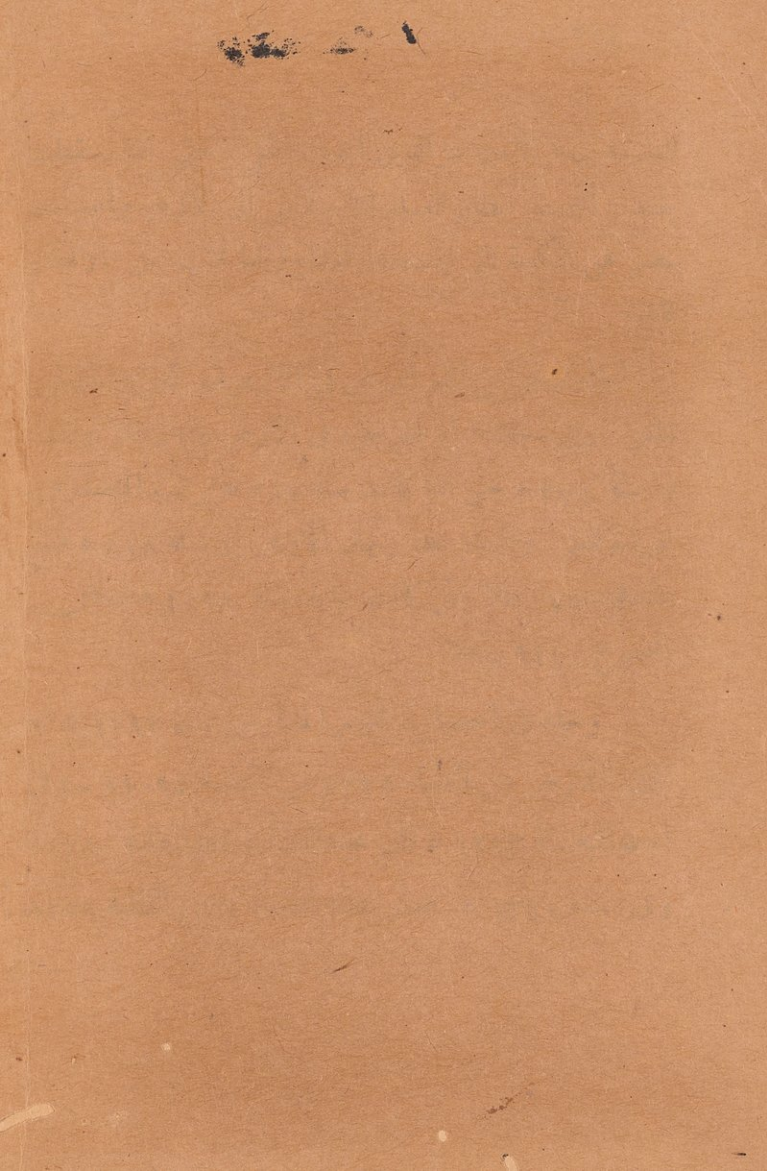
ولقد كان الأزهر منذ نشأته موضع عناية الخلفاء
الفاطميين . ولكن في أيام الأيوبيين انتقلت حركة التعليم
من الجامع الأزهر إلى المدارس التي أنشأها صلاح الدين
الأيوبي وقام بالتدريس فيها كثير من العلماء إلى أن جاء الظاهر
بيبرس البندقدارى سنة ٦٥٨ هـ . فأعاد إلى الأزهر حيوياً

العلوية بهمة الأمير عز الدين ايدمر الحلي . حتى اذا سقطت
بغداد اتجهت انظار العالم الاسلامي إلى الأزهر وأصبحت
مصر هي الكعبة التي ينشدها العلماء والطلاب من الاقطار
قاطبة

أما أول من أقام الدرس في الأزهر فهو العزيز بالله ابن
المعز . وفي سلطنته بلغ الموجود في الأزهر ٣٥ رجلا وذلك
في سنة ٣٧٨ هـ حتى اذا كانت سنة ٣٨٠ هـ ترتب المتصدرون
لقراءة العلم . وازداد عدد رجال الأزهر إلى سنة ٨١٨ هـ فبلغ
عدد ٧٥٠ رجلا حتى كانت نهاية سنة ١٢٩٨ هـ فكان
المجموع ٩٤٤٠ رجلا

وجاء في احصائية عموم المدارس سنة ١٢٩٢ هـ انه
كان بالأزهر من العلماء ٣٢٥ ومن الطلبة ١١٠٩٥ - وفي
احصائية سنة ١٢٩٣ هـ كان عدد العلماء ٣٢٥ والطلبة ١٠٧٨٠
وفي سنة ١٣١٠ هـ : صار عدد العلماء ١٨٧ والطلبة ٨٢٥٩





370.9.096

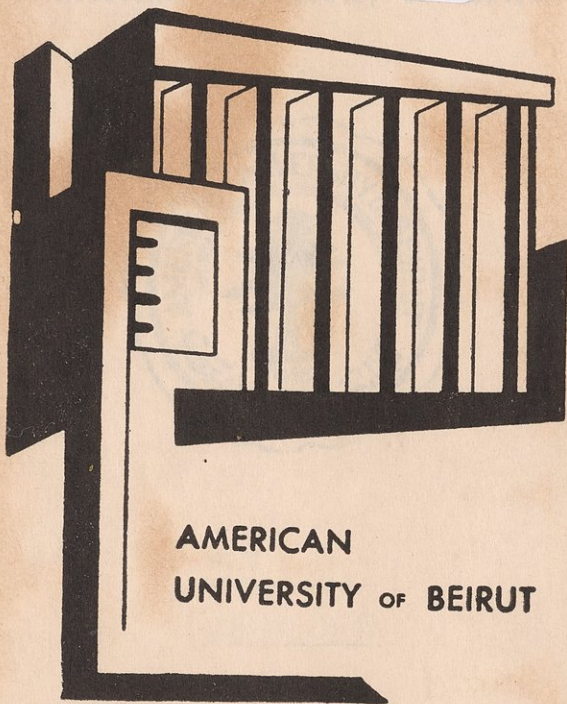
حسين، عبد الله

التعليم العربي والجامعي

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01022261



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

